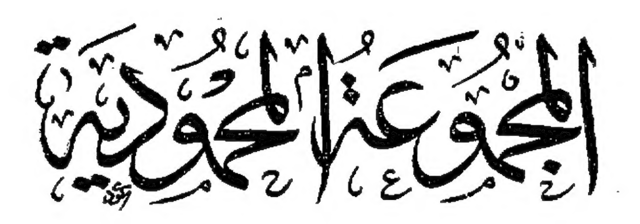


جمعها

عبد الله بن صالح بن محمود

غفر الله له ولوالديه

طبعت على نفقة محسن كريم

وجعلها

وقفا لله تعالى

الرياض — المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد، فهذه مجموعة رسائل ومسائل لبعض علماء نجد الأفاضل، وغيرهم من أهل العلم الصحيح الكامل، احتفظت بها لنفسي منذ زمن ليس بالقصير، وقد قرأت غالبها على مشائخنا الكرام في مناسبات مختلفة.

ولما سنحت لي الفرصة استخرت الله تعالى في طبعها ونشرها أملا في تعميم الفائدة، ورجاء المثوبة الخالدة، والله المسئول أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إن الله على كل شيء قدير. والسلام م

عبد الله بن صالح بن محمود

تعريف الشيخ المحترم عبد الله بن محمد بن حميد ، لرسالة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ تتضمن ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه من إفراد الله بالعبادة ، وأنه لم يخلق الخلق عبثاً . ومشتملة لبغض المشركين وعداوتهم ، والأمر بالجهاد فى سبيل الله .

﴿ مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام ﴾

(من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى وقتنا هذا)

قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمهما الله تعالى :

الحمد لله الذى أرسل رسله مبشرين ومنذرين وختمهم بمحمد ﷺ سيد الأولين والآخرين ، وعمم برسالته جميع الثقلين من الإنس والجن ، وأمرهم باتباعه وطاعته ، وقد كانوا قبله فى ضلال مبين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين . وأشهد أن محمداً

عبده ورسوله وخليله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم واستقـــام على طريقهم إلى يوم الدين.

من عبد الله بن عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، إلى من بلغه هذا الكتاب من أهل الجزيرة وعمان والمنتسبين إلي الإسلام في جميع الأقطار، وفقهم الله لقبول النصائح وجنبهم أسباب الندم والفضائح. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإن الله سبحانه وبحمده خلقنا لمعرفته وعبادته، وأمرنا بتوحيده وطاعته، ولم يتركنا همـــلاً بل أرسل إلينا رسول الله ﷺ وضمن لنا النجاة والفلاح باتباعه وطاعته، وحرم علينا معصيته ومخالفته، ولم يكن لنا وصول إليه إلا من جهته. قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال تعالى: (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينًا) وقال تعالى: (قل يا أيهـا الناس إني رسول الله إليـكم جميعًا الذى له ملك السموات

والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وأكمل الله له الدين وبلّغ البلاغ المبين ، وأشهد أمته على البلاغ وأشهد ربه على أمته له بالبلاغ ، وقال ﷺ « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » ، وقال أبو ذر رضى الله عنه : « لقد توفّى رسول الله ﷺ ، وما من طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً » .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ذكر فيه بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم . علم ذلك من علمه . وجهله من جهله » والمقصود بهذا ما قد شاع وذاع من إعراض المنتسبين إلى الإسلام ، عن دينهم وما خلقوا له ، مع أنهم من أمة الإجابة . وقد قامت عليهم الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية ، من لزوم الإسلام ومعرفته ، والبراءة من

ضده ، والقيام بحقوقه حتى آل الأمر بأكثر الخلق إلى عدم النفرة من أهل ملل الكفر وعدم جهادهم . وانتقل الحال حتى دخلوا فى طاعتهم واطمأنوا إليهم وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم ، وتركوا أوامر القرآن ونواهيه وهم يدرسونه آناء الليل والنهار ، وهذا لا شك أنه من أعظم أنواع الردة والانحياز إلى ملة غير ملة الإسلام . ودخلوا فى ملة النصرانية عياذاً بالله من ذلك ، كأنكم فى أزمان الفترات أو أناس نشأوا فى أمة لم يبلغهم شىء من نور الرسالة ، أنسيتم قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) وقوله تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) وقال تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله

هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير) والدخول فى طاعتهم اتباع لملتهم وانحياز عن ملة الإسلام . قال تعالي : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) وقال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً . وقد نزّل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم

تعقلون) والآيات القرآنية فى تحريم موالاة الكفار والدخول فى طاعتهم أكثر من أن تحصر . ومن تدبر القرآن واعتقد أنه كلام الله منزل غير مخلوق واقتبس الهدى والنور منه وتمسك به فى أمر دينه عرف ذلك إجمالا وتفصيلا .

قال جندب بن عبد الله رضى الله عنه : عليكم بالقرآن فإنه نور بالليل وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من فقر وفاقة ، فإن عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك ، فإن تجاوز البلاء فقدم نفسك دون دينك . فإن المحروم من حرم دينه ، والمسلوب من سلب إيمانه . فإنه لا فاقة بعد الجنة ولا غناء بعد النار ، أن النار لا يستغنى فقيرها ولا يفك أسيرها ، وهذه الطائفة الملعونة ـ الطائفة النصرانية ـ التى حلّت فى فنائكم وزحمتكم عن دينكم ، وطلبت منكم الدخول فى طاعتها، هم الذين نوّه الله بذكرهم بالقرآن فقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)

وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا) .

فهل بعد هذا من غلظة وبيان وزجر وإنذار ، وهل يشك بعد هذا من له فطرة وسمع ، وبصر اللهم إلا من ركن إلى الدنيا وطلب إصلاحها ونسي الآخرة فهذا لا عبرة به لأنه أعمى القلب مطموس البصر ، وقد أمرنا الله تعالى

أن نقول لهم (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ففي قوله (اشهدوا بأنا مسلمون) إظهار للبراءة من دينهم وزجر عن الدخول في طاعتهم . لقد والله لعب الشيطان بأكثر الخلق وغيّر فطرهم وشكّكهم في ربهم وخالقهم ، حتى ركنوا إلى أهل الكفر ورضوا بطرائقهم عن طرائق أهل الإسلام .

وكنا نظن قبل وقوع هذه الفتن وترادف هذه المحن أن في الزوايا خبايا ، وفي فحول الرجال بقايا ، يغارون على دينهم ويبذلون نفوسهم وأموالهم في الحمية لدينهم ، فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، وراجعوا دينكم بمجاهدة أعدائكم من الكفار والمشركين ، وقد امتحنكم الله بهم وابتلاكم بقربهم من أوطانكم ، قال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ،

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقد تعبدكم وأمركم بجهادهم وفرضه عليكم (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وقال تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) إلى قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) وقال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله

فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

فأرشد من اشترى منهم نفوسهم إلى الوفاء بالتسليم ، وحضهم على بيان مالهم فيه من الربح الجزيل والفضل العظيم ، وخاطب المقرين بالبيع المماطلين بالتسليم خطاباً بل عتاباً وتوبيخاً ، يقرأ أبداً فى محكم التنزيل (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) .

ثم حذرهم عن الإصرار على المماطلة وتوعدهم على التسويف بعد وجوب النفير ، فقال سبحانه : (ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير) .

فالواجب عليكم معشر الرؤساء والقادة من أهل السواحل

والبلدان اتفـــاق الـكلمة بلزوم دينكم ومجاهدة عدوكم، والتشمير للجهاد عن ساق الاجتهاد، والنفير إلى ذى العناد، وتجهيز الجيوش والسرايا، وبذل الصلات والعطايا، وإقرار الأموال لمن يضاعفها وينمّيهـا، ودفع سلع النفوس من غير مماطـلة لمشتريها، وأن تنفروا فى سبيل الله خفـافاً وثقالا، وتقوموا بالدعوة لجهاد أعداء الله ركباناً ورجالا، وأن تتطهروا بدماء المشركين والـكفار من أدناس الذنوب وأنجاس الأوزار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الـكتـاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقوله تعـالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين).

واحذروا من قوله (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا

يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاءاً بما كانوا يكسبون).

ثم شدّد عليهم العقوبة وقطع عنهم قبول المعذرة بقوله (فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) وقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) فاحذروا غاية الحذر من سطوة الله، فحقيقة الدين هى المعاملة، وسبيل اليقين هى الطريقه الفاضلة، ومن حرم التوفيق فقد عظمت مصيبته واشتدت هلكته.

وأنتم تعلمون معاشر المسلمين، أن الأجل محتوم، وأن الرزق مقسوم، وأن ما أخطأ لا يصيب، وأن سهم المنية لكل أحد مصيب، وأن كل نفس ذائقة الموت، وأن

الجنة تحت ظلال السيوف ، وأن الرى الأعظم فى شرب كؤوس الحتوف ، وأن من اغبرّت قدماه فى سبيل الله حرّمه الله على النار ، ومن أنفق ديناراً كتب بسبعمائة ، وفي رواية « بسبعمائة ألف دينار » .

وأن الشهداء حقًا عند الله من الأحياء ، وأن أرواحهم فى جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء ، وأنه الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياه ، وأنه يشفّع فى سبعين من أهل بيته ومن والاه .

وأنه آمن يوم القيامة من الفزع الأكبر ، وأنه لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر ، وأنه لا يحس ألم القتل إلا كمس القرصة ، وكم للموت على الفراش من سكرة وغصّة ، وأن الطاعم النائم فى الجهاد أفضل من الصائم القائم فى سواه .

ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النار عيناه ، وأن المرابط يجرى له أجر عمله الصالح إلى يوم القيامة ، وأن ألف يوم

لا تساوى يوماً من أيامه ، وأن رزقه يجرى عليه كالشهيد أبداً لا ينقطع ، وأن رباط يوم خير من الدنيا وما فيها ، إلى غير ذلك من خصال الجهاد التى ثبتت فى نصوص السنة والكتاب .

فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتب ومساعدة القائم بها والانضمام إليه . والانتظام فى سلكه ، فتربحوا بذلك تجارة الآخرة ، وتسلموا على دينكم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد فى سبيل الله ، سلّط الله عليكم ذُلاًّ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « من غزا غزوة فى سبيل الله ، فقد أدى إلى الله جميع طاعته ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » قلنا : يا رسول الله ؛ وبعد هذا الحديث

الذى سمعنا منك من يدع الجهاد ويقعد؟ قال : « من لعنه الله وغضب عليه وأعدَّ له عذابًا عظيماً ، قوم يكونون فى آخر الزمان لا يرون الجهاد ، وقد اتخذ ربى عنده عهد لا يخلفه أيما عبد لقيه ، وهو يرى ذلك أن يعذبه عذاباً لا يعذبه أحدا من العالمين ».

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه قال فى خطبته بعد وفاة رسول الله ﷺ بعام : « أيها النـاس إنى سمعت رسول الله ﷺ عام أول فى هذا الشهر على هذا المنـبر وهو يقول : ما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا أذلهم الله ، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا عمَّهم الله بعقابه » .

وفى الحديث « من لم يغز ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق »

فهذه نصيحة بذلناها لـكم تذكرة كما قال تعالى (فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) وقال (سيذكر من يخشى)

ومعذرة بين يدى الله عن السكوت ، لأن السكوت ليس بعذر لأهل العلم (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فلا تغتروا بأهل الكفر وما أعطوه من القوة والعدة فإنكم لا تقاتلون إلا بأعمالكم ، فإن أصلحتموها وصلحت وعلم الله منكم الصدق فى معاملته وإخلاص النية له أعانكم عليهم وأذلهم وإنهم عبيده ونواصيهم بيده وهو الفعال لما يريد (فلا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) فعليكم بما أوجبه الله وافترضه من جهادهم ومباينتهم ، وكونوا عباد الله على ذلك إخوانًا وأعوانًا ، وكل من استطاع لهم ودخل فى طاعتهم وأظهر موالاتهم فقد حارب الله ورسوله ، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده ومعاداته ، ولا تستنصروا إلا بربكم ، واتركوا الانتصار بأهل الكفر جملة وتفصيلا .

فقد قال ﷺ « إنا لا نستعين بمشرك » وهذه الدولة التى

تنتسب إلى الإسلام هم الذين أفسدوا على الناس دينهم ودنياهم ، استسلموا للنصرانية ، واتحدت كلمتهم معهم ، وصار ضررهم وشرهم على أهل الإسلام والأمة المستجيبة لنبيها والمخلصة لربها .

فحسبنا الله ونعم الوكيل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة فى أصل الدين للشيخ إسحق رحمه الله

(الرد على من قال : لا نكفر لمعنى ، وإنما نقول فعله شرك بنوعه من غير تكفير لفاعله) .

قال الشيخ إسحق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله : الحمد لله رب العالمين ولاعدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين . وأشهد أن لا إله إلا هو الذى لا يستغاث فى الشدائد ولا يدعى إلا إياه ، فمن عبد غيره فهو المشرك الكفور . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، أرسله الله رحمة للعالمين · فلا نبى بعده ولا رسول .

أما بعد :

فقد بلغنا وسمعنا من فريق ممن ينتسب إلى الإخوان مؤتماً بالشيخ محمد بن عبد الوهاب : أن من أشرك بالله وعبد الأوثان لا يدخل فى الكفر والشرك بعينه ، وذلك أن بعض من

شافهني منهم بذلك سمع من بعض الاخوان : أنه أطلق الكفر على من دعا النبي ﷺ واستغاث به ، فقال له الرجل : لا تطلق الكفر فإن هذا وأجناسه لا يعبأون بمخالطة المشركين فى اللين لهم فى ديارهم ، وهو أيضاً جهمى . وكانوا قد لفقوا لهم شبهات على أهوائهم يأتى بعضها فى أثناء الرسالة ، وقد غروا بها بعض الرعاع من أتباعهم ومن لا معرفة عنده ومن لا يعرف حالهم ولا علم له بذلك ، لأنهم متحيزون عن الاخوان بأجسامهم وعن المشائخ بقلوبهم ، وهم متحيزون مستوحشون واستوحش منهم بما أظهروه من الشبه ، وبما ظهر عليهم من الكآبة وعند الفسقة المشركين ؛ وعند التحقيق لا يكفرون المشركين إلا بالعموم ، وفيما بينهم يتورعون عن ذلك ثم دبت بدعتهم وشبهتهم حتى راجت على من هو من خواص الإخوان ، وذلك بسبب ترك كتب الأصول وعدم الاعتناء بها ، وعدم الخوف من الزيغ ، وأيضاً رغبوا عن النظر فى رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ، ورسائل بنيه فإنها كفيلة بتبيين جميع ذلك جداً . كما سيمر بك .

ومن له أدني معرفة إذا رأى حال الناس اليوم ، ونظر إلى المشائخ المذكورين تحير جداً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وذلك أن بعض الإخوان بحثه عن هذه المسألة فقال : نقول لأهل هذه القباب الذين يعبدونها : فعلك هذا شرك وليس هو بشرك ، فانظر ترى واحمد ربك وسله العافية ، فهو من أجوبة العراقى التى رد الشيخ عبد اللطيف وكفر أهلها ، ومن بعض الطلبة من إذا سئلوا عن مستندهم فقال : نكفر النوع ولا نعين الشخص .

ومستندنا ما رأيناه فى بعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فإنه امتنع عن تكفير من عبد قبة الكوّاز وعبدالقادر ، من الجهال لعدم من ينبهه ترى العجب ، ثم سل الله العافية وأن يعافيك من الحور بعد الكور .

وما أشبههم بالحكاية المذكورة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : أنه ذات يوم يقرر على أصل الدين وبجواره رجل من جلسائه لا يسأل ولا يتعجب ، ولا يبحث حتى جاء بعض الكلمات التى فيها ما فيها ، فقال الرجل: ماهذه

كيف ذالك ؟ فقال الشيخ : قاتلك الله ذهب حديثنا منذ اليوم لم تفهمه ولم تسأل عنه، فلما جاءت هذه السقطة عرفتها أنت ، مثل الذباب لا يقع إلا على القذر .

فنقول وله الحمد وله الثناء ونسأله السداد ، ولا نقول إلا كما قال مشائخنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده فى رده على العراقي ، وكذلك هو قول أئمة الدين قبلهم ، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن المرجع في مسائل أصول الدين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبر ، وهو ما كان عليه الصحابة وليس المرجع فى ذلك إلى عالم بعينه ، فمن تقرر عنده هذا الأصل تقرراً لا يدفعه شبهة وأخذ بشرايين قلبه ، هان عليه ما قد يراه من الكلام المشتبه فى بعض مصنفات الأئمة ، إذ لا معصوم إلا النبي ﷺ .

ومسألتنا هذه فى عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه ، وأن من عبد مع الله غيره فقد أشرك الشرك الأكبر الذى ينقل عن الملة هى أصل الأصول ، وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقامت على الناس الحجة

بالرسول وبالقرآن. وهكذا تجد الجواب في مسائل الدين في ذلك الأصل عند تكفير من أشرك بالله، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ولا يذكرون التعريف في مسائل الأصول إنما يذكرون التعريف في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض المسلمين، كمسائل نازع بها بعض أهل البدع كالمرجئة أو مسألة خفية كالصرف والعطف، وكيف يعرّفون عباد القبور وهم ليسوا بمسلمين فهو كافر مشرك بإجماع المسلمين إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجّاب الذين يكونون بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وإن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً.

وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوى وإن

هذا دين المشركين عباد الأوثان ، كانوا يقولون : إنها تماثيل الأنبياء والصالحين ، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله ، وهو من الشرك الذى أنكره الله على النصارى ، إلى أن قال : وأما الشفاعة التى نفاها القرآن كما عليه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الأمة ، فينفيها أهل العلم والإيمان ، مثل أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم ويقولون إنهم إن أرادوا ذلك قضوها ، ويقولون إنهم عند الله كخواص الملوك ولهم على الملوك إدلال يقضون به حوائجهم ، فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك والله سبحانه قد نزه نفسه عن ذلك . انتهى ملخصاً . فهذا الذى ذكره الشيخ رحمه الله إجماع المسلمين على أن مرتكبه مشرك كافر يقتل هو الذى يزعم داود البغدادى إنه جائز ، بل زعم أن الله أمر به وأنه معنى الوسيلة التى أمر الله بها فى قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) وزعم أن الوسيلة التى أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب بطلب الحاجات ، وتفريج الكربات من الأموات والغائبين ، وزعم أن الشرك هو السجود لغير الله فقط

وأن دعاء الأموات والغائبين والتقرب إليهم بالنذور والذبائح ليس بشرك بل هو مُباح . ثم زاد على ذلك بالكذب على الله وعلى رسوله وزعم أن الله أمر بذلك وأوجبه ولم يقتصر على دعوى إباحة ذلك ، بل زعم أن الله أمر عباده المؤمنين أن يقصدوا قبور الأموات ويسألوهم قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، فسبحان الله ماأجرأ هذا على الافتراء والكذب على الله .فلو أن إنسانا ادعى إباحة بعض صغائر الذنوب كأن يزعم أنه يباح للرجل تقبيل المرأة الأجنبية لكان كافراً بإجماع المسلمين، وإن زاد على ذلك بأن قال: إن الله يحب ذلك بأن قال إن الله يحب ذلك ويرضاه فقد ازداد كفراً على كفره فكيف عن زعم أن الله أباح الشرك الأكبر ثم زاد على ذلك بأن قال: إن الله أمر به وأحب من عباده المؤمنين أن يسارعوا إليه ، ما أعظم هذه الجرأة ، وكلام شيخ الإسلام فى هذه المسألة كثير لايخلو غالب مصنفاته من الكلام عليها .

وذكر رحمه الله عن بعض علماء عصره أنه قال: هذا منه أعظم ما بينته لنا .

وذكر رحمه الله فى الرسالة السنية، لما ذكر حديث الخوارج قال: وإذا كان فى زمن رسول الله ﷺ من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلي الإسلام فى هذا الزمان قد يمرق أيضا، وذلك بأمور منها الغلو الذى ذمّه الله، كالغلو في بعض المشايخ مثل الشيخ عدى، بل الغلو فى على ابن أبى طالب، بل الغلو فى المسيح فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الآلهة، مثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: ياسيدى فلان أغثنى أو أجرنى أو توكلت عليك أو أنا فى حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل. فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون أنها ترزق وتدبر أمر من دعاها، وإنما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استعانة.

وكلامه رحمه الله فى هذا الباب كثير، وكذلك ابن القيم بالغ في إيضاح هذا الأمر وبيّن بطلانه كقوله فى شرح المنازل: ومنه أي الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، فإن هذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلا عمن استغاث به وسأله أن يشفع له. انتهى. وهذا الذى قال إنه أصل شرك العالم، هو الذى يزعم داود أن الله أمر به، تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيراً.

وقال ابن القيم فى الهدى فى فوائد غزوة الطائف: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحدا، فإنها شعائر الكفر والشرك، ولا يجوز الإقرار عليها بعد القدرة عليها البتة. قال: وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، وكذا الأحجار التى تقصد بالتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، فلا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة

الثالثة الأخرى، بل أعظم شركا عندها وبها والله المستعان. ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم أتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ فى ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء وتغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. انتهى.

فانظر قوله فى المشاهد التى بنيت على القبور كونها

اتخذت أوثانا وطواغيت ، وربما ينفر قلب الجاهل من تسمية قبر نبي أو رجل صالح وثناً ، وقد قال النبي ﷺ «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد» فهذا الحديث يبين أنه لو قصد قبر النبي ﷺ بعبادة له كان قاصده بذلك قد اتخذه وثناً فكيف بغيره من القبور .

وقوله رحمه الله كثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، بل أعظم شركا عندها وبها صدق رحمه الله لما شاهدنا في هذه الأزمنة من الغلو والشرك العظيم من كون كثير من الغلاة عند الشدائد في البر والبحر ، يخلصون الدعاء لمعبوديهم ، وكثير منهم ينسون الله عند الشدائد كما هو مستفيض عند الخاصة العامة . وقد أخبر الله عن المشركين الأولين أنهم يخلصون الدعاء له سبحانه وتعالى وينسون آلهتهم ، ونصوص القرآن في ذلك كثيرة كما قال سبحانه (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون) فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون

وإذا مس الإنسان ضرٌ دعا ربه منيباً إليه، ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً. فهذا إخباره سبحانه عن الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ ينهاهم عن الشرك ويأمرهم بالتوحيد، وغالب مشركي أهل الزمان بعكس ذلك. وقول ابن القيم رحمه الله غلب الشرك على أكثر النفوس وسبب ذلك كله ظهور الجهل وقلة العلم، فهذا قوله فيما شاهده في زمانه ببلاد الاسلام، فكيف لو رأي هذا الزمان؟ وفي الحديث «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه».

قال ابن مسعود: لا أقول زمان أخصب من زمان ولا أمير خير من أمير. ولكن بذهاب خياركم وعلمائكم فكيف لو شاهد من يقول: إن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات ويقول: إنما الشرك هو السجود لغير الله، كما قال ذلك داود البغدادي مشافهة لي فليلزمه أن قصد المشركين الأولين لآلهتهم كاللات والعزى ومناة. وكذلك هبل إذ طلب الحاجات منها وكشف الكربات والتقرب إليها بالنذور والذبائح، إن هذا ليس

بشرك إذا لم يسجدوا لها ، فياسبحان الله كيف يبلغ الجهل بمن ينتسب إلى علم إلى هذه الفضيحة .

وقال ابن القيم رحمه الله : رأيت لأبي الوفا ابن عقيل فصلاً حسناً فذكرته بلفظه ، قال : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال : وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج عليها وتقبيلها وتخليقها ، وخطاب أهلها بالحوائج وكتابة الرقاع فيها : يامولاى أفعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر إقتداء بمن عبد اللات والعزى، وقولك : إن الشيخ تقي الدين وابن القيم يقولان : إن من فعل هذه الأشياء لا عليه إنه كافر مشرك حتى تقوم عليه الحجة الإسلامية من إمام أو نائبه فيصر، وإنه يقال هذا الفعل كفر وربما عذر فاعله لاجتهاد أو تقليد أو غير ذلك . فهذه الجملة

التي حكيت عنهما لا أصل لها في كلامهما ، وأظن اعتمادك في هذا
على ورقة كتبها داود ونقل فيها نحو هذه العبارة من اقتضاء
الصراط المستقيم للشيخ تقي الدين لما قدم عنيزة المرة الثانية
معه هذه الورقة ، يعرضها على ناس في عنيزة يشبه بها ويقول :
لو سلمنا أن هذه الأمور التي تفعل عند القبور شرك كما تزعم
هذه الطائفة فهذا كلام إمامهم ابن تيمية الذي يقتدون به ،
يقول إن المجتهد المتأول والمقلد والجاهل معذورون مغفور لهم
فيما ارتكبوه ، فلما بلغني هذا عنه أرسلت إليه وحضر عندي
وبينت خطأه ، وإنه وضع كلام الشيخ في غير موضعه ، وبينت
له أن الشيخ إنما قال ذلك في أمور بدعية ليست بشرك مثل
تحري دعاء الله عند قبر النبي ﷺ وبعض العبادات المبتدعة ،
فقال في الكلام على هذه البدع : وقد يفعل الرجل العمل الذي
يعتقده صالحاً ولا يكون عالماً أنه منهيٌّ عنه فيثاب على حسن
قصده ويُعفى عنه لعدم علمه . وهذا باب واسع . وعامة العبادات
المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس يحصل له نوع من الفائدة
وذلك لا يدل على أنها مشروعة ثم العامل قد يكون متأولا

مجتهداً مخطئاً مقلداً ، فيغفر له خطأه ويثاب على ما فعله من المشروع المقرون بغير المشروع . فهذا كلامه فى الأمور التى ليست شركا . وأما الشرك فقد قال رحمه الله : إن الشرك لا يغفر وإن كان أصغر . نقل عنه ذلك تلميذه صاحب الفروع فيه . وذلك والله أعلم لعموم قوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ مع أن الشيخ رحمه الله لم يجزم أنه يغفر لمن ذكرهم ، وإنما قال : قد يكون . وقد قال رحمه الله في شرح العمدة ، لما تكلم فى كفر تارك الصلاة فقال : وفى الحقيقة فكل ردّ لخبر الله أو أمره فهو كفر دقّ أو جلّ ، لكن قد يعفى عما خفيت فيه طرق العلم وكان أمراً يسيراً فى الفروع بخلاف ما ظهر أمره ، وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر ، يعنى فإنه لا يقال قد يُعفى عنه .

وقال رحمه الله فى أثناء كلام له فى ذم أصحاب الكلام قال : والرازى من أعظم الناس فى باب الحيرة له نهمة فى التشكيك . والشك فى الباطل خير من الثبات على اعتقاده ،

لكن قل أن يثبت أحد على باطل محض ، بل لا بد فيه من نوع من الحق ، وتوجد الردة فيهم كثيراً كالنفاق . وهذا إذا كان في المقالات الخفية . فقد يقال : لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن يقع ذلك في طوائف منهم في أمور يعلم العامة والخاصة ، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً بعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لاشريك له ونهيه عن عبادة غيره ، فإن هذا أظهر شرائع الإسلام ومثل أمره بالصلوات الخمس ومثل معاداة المشركين وأهل الكتاب ، ومثل تحريم الفواحش والربا والميسر ونحو ذلك . وقولك إن الشيخ يقول : إن من فعل شيئاً من هذه الأمور الشركية لايطلق عليه إنه كافر مشرك حتى تقوم عليه الحجة الإسلامية ، فهو لم يقل ذلك في الشرك الأكبر وعبادة غير الله ونحوه من الكفر ، وإنما قال هذا في المقالات الخفية كما قدمنا .

يعني فهذا لا يمكن أن يقال : لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة غيره هو ما نحن فيه وقال تعالى (رسلا مبشرين

ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) .

وقوله رحمه الله : بل اليهود والنصارى يعلمون ذلك، حكى لنا عن غير واحد من اليهود فى البصرة أنهم عابوا على المسلمين مايفعلون عندالقبور، قالوا : إن كان نبيكم أمركم بهذا فليس بنبي ، وإن لم يأمركم فقد عصيتموه . وعبادة الله وحده لاشريك له هى أصل الأصول الذى خلق الله الجن والإنس لأجله قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي يعبدونى وحدى ، وهو الذى أرسل به جميع الرسل قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والطاغوت اسم لكل ماعبد من دون الله . وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وكل رسول أرسله الله فأول ما يدعوهم إليه هذا التوحيد قال تعالى (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقومى اعبدوا الله مالكم من إله غيره وإلى مدين أخاهم شعيباً

قال ياقومى اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهذا هو الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) فمن زعم أن الله سبحانه يغفره فقد رد أمر الله سبحانه وحد العبادة وحقيقتها طاعة الله فكل قول وعمل ظاهر وباطن يحبه الله فهو عبادة الله ، فهى كلما أمر به شرعا أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة . فهذا حقيقة للعبادة عند جميع العلماء التى من جعل منها شيئا لغير الله فهو كافر مشرك ومما يبين أن الجهل ليس بعذر فى الجملة قوله ﷺ فى الخوارج ما قال مع عبادتهم العظيمة . وهل يبقى مع الشرك عمل والله تعالي يقول : لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط .(وقال: ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)وقال(إن الله لا يغفر أن يشرك به) إلى غير ذلك من الآيات . ولكن هذا المعتقد يلزم منه معتقد قبيح وهو أن الحجة لم تقم على هذه الأمة بالرسول والقرآن نعوذ بالله من سوء الفهم الذى أوجب نسيان الكتاب

والرسول ، بل أهل الفترة الذين لم تبلغهم الرسالة والقرآن وماتوا على الجاهلية ، لايسمون مسلمين بالإجماع ولا يستغفر لهم . وإنما اختلف أهل العلم فى تعذيبهم فى الآخرة .

وهذه الشبهة التى ذكرنا قد وقع مثلها أودونها لأناس في زمن الشيخ محمد رحمه الله ، ولكن من وقعت له يراها شبهة ويطلب كشفها . وأما من ذكرنا فإنهم يجعلونها أصلا ويحكمون على عامة المشركين بالتعريف ويجهلون من خالفهم فلا يوفقون للصواب ، لأن لهم فى ذلك هوى ، وهو مخالطة المشركين . ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . الله أكبر ما أكثر المنحرفين وهم لا يشعرون . ونحن ذكرنا هذه المقدمة لتكون أدعى لفهم ما سيأتى من الحجج على هذه المسألة .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدّس الله روحه ، فى الرسالة التى كتب إلى أحمد بن عبد الكريم صاحب الإحساء أحد الصلحاء ، أولا قبل يفتتن فنذكر منها شيئاً لمشابهة من رددنا عليه لصاحب الرسالة وهذا نصها : من محمد بن عبدالوهاب

إلى أحمد بن عبد الكريم سلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

أما بعد : وصل مكتوبك تقرر المسألة التى ذكرت ، وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته ، ثم ورد منك رسالة تذكر أنك عثرت على كلام لشيخ الإسلام أزال عنك الإشكال. فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام وعلى أى شيء يدل كلامه ، على أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى وسبَّ دين الرسول بعد ما شهد به مثل سبِّ أبى جهل ، أنه لا يكفر بعينه ، بل العبارة صريحة واضحة فى تكفير مثل ابن فيروز وصالح ابن عبدالله وأمثالهما ، كفراً ظاهراً ينقل عن الملة فضلا عن غيرهما هذا صريحٌ واضح فى كلام ابن القيم وفى كلام الشيخ الذى ذكرت أنه أزال عنك الإشكال فى كفر من عبد الوثن الذى على قبر يوسف وأمثاله ، ودعاهم فى الشدائد والرخاء وسبَّ دين الرسول بعد ما شهد به ودان بعبادة الأوثان بعد ما أقرَّ بها ، وليس فى كلامى هذا مُجازفة بل أنت

تشهد به عليهم ، ولكن إذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه ، وإنما أخاف عليك من قول الله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) والشبهة التى دخلت عليك من أجل هذه البضيمة التى فى يدك تخاف تضيع أنت وعيالك ، إذا تركت بلد المشركين ، وشاك فى رزق الله وأيضا قرناء السوء ، وأنت والعياذ بالله تنزل درجة درجة أو مرة في الشك وبلد الشرك ، وموالاتهم والصلاة خلفهم . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

فتأمل قوله فى تكفير هؤلاء العلماء فى كفر من عبدالوثن الذى على قبر يوسف ، إنه صريح فى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

وفى حكايته عن صاحب الرسالة وحكمه عليه بآية المنافقين وأن هذا حكم عام ، وكذلك اليوم حال كثير ممن ينتسب إلى الدين والعلم من أهل نجد يذهب إلى بلاد المشركين ويقيم عندهم مدة يطلب العلم منهم ويجالسهم ثم إذا قدم على المسلمين .

وقيل : اتق الله وتب إلى ربك من ذلك استهزأ بمن يقول له ذلك ، ويقول : أتوب من طلب العلم ، ثم يظهر من أفعاله وأقواله ما ينبي عن سوء معتقده وزيغه . ولا عجب من ذلك لأنه عصى الله ورسوله بمخالطة المشركين فعوقب . ولكن العجب من أهل الدين والتوحيد ، لانبساطهم مع هذا الجنس الذين أرادوا أن يقرنوا بين المشركين والموحدين ، وقد فرق الله بينهم فى كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى فى تلك الرسالة بعد ما ذكر كثرة من ارتد عن الإسلام بعد النبى ﷺ ، كالذين فى زمن أبى بكر رضى الله عنه ، حكموا عليهم بالردة بمنع الزكاة ، وكأصحاب على وأهل المسجد الذين بالكوفة وبنو عبيد القداح ، كل هؤلاء حكموا عليهم بالردة بأعيانهم ثم قال : وأما عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية التى لبسوا بها عليك فهى أغلظ من هذا كله ، ولو نقول بها لكفرنا كثيراً من المشاهير بأعيانهم ، فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت

عليه الحجة ، فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة ، فن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، بل إذا بلغه كلام الله وخلا عما يعذر به فهو كافر ، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قوله تعالى ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ وقوله ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ .

وإذا كان كلام الشيخ ليس فى الردة بل فى المسائل الجزئيات ، ثم قال : يوضح ذلك أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين ، فأين نسبتك أنه لا يكفر أحدا بعينه .

وقال أيضاً فى كلامه على المتكلمين ومن شا كلهم لما ذكر من أئمتهم شيئاً من أنواع الردة والكفر .

قال رحمه الله تعالى : وهذا إذا كان فى المقالات الخفية فقد يقال إنه مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها ،

لكن يقع فى طوائف منهم فى الأمور الظاهرة التى يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمداً ﷺ بُعث بها وكفّر من خالفها، مثل أمره بعبادة الله وحده لاشريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم، فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ثم تجد كثيراً من رؤساءهم وقعوا فى هذه الأنواع فكانوا مرتدين وكثيراً تارة يرتد عن الإسلام ردة صريحة، إلى أن قال: وبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى الردة، كما صنف الرازى فى عبادة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين. هذا لفظه بحروفه.

فتأمل كلامه فى التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه فى كفر المعين، وتأمل تكفيره رؤساءهم فلانا فلانا بأعيانهم وردتهم ردة صريحة، وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازى عن الإسلام مع كونه من أكابر أئمة الشافعية، هل يناسب هذا من كلامه أن المعين لايكفر ولو دعا عبد القادر فى الرخاء والشدة؟

رسالة مفيدة

﴿ للشيخ محمد بن عمر بن سليم رحمه الله تعالى ﴾

﴿ فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذى أتم علينا النعمة وأكمل لنا الدين ، أحمده سبحانه على نعمه المتتابعة كل وقت وحين . خصوصاً على نعمة الإسلام التى من لقى الله بها أنجاه ، وجعله يوم الفزع الأكبر من الآمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه الذين كانوا بأوامره مهتدين ، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين ومن اقتفى أثرهم على منهاجهم ، إلى أن ترث الأرض وأنت خير الوارثين .

أما بعد : فقد قال الله تعالى فى محكم القرآن (وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقال ﷺ

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمسى ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ناصحاً ولعامة المسلمين فليس منهم » رواه الطبرانى عن حذيفة رضى الله عنه .

فقد أوجب الله تعالى على عباده النصيحة وجعلها ديناً ، وجعل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد ، فتربت يد من لم يتصف بذلك إيمانا ومدح المتواصين بالحق والصبر عليه ، وأخرجهم ممن خسر خسرانا مبينا فقال تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إلى آخر السورة .

قال الشافعى : لو تفكر الناس فى هذه السورة لكفتهم .

قال ابن القيم رحمه الله فى عدة الصابرين : وذلك أن العبد كماله بقوتين قوة العلم وقوة العمل وهما الإيمان والعمل الصالح ، وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره ، وهو التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وآخية ذلك كله وقاعدته وساقه الذى يقوم عليه إنما هو الصبر ، انتهى ، وقد أمر الله

نبيه ﷺ أن يدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فقال (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) الآية . وقال سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فإذا كانت الدعوة إلى طريق النبي ﷺ وأتباعه كما قال : أنا ومن اتبعني فالواجب على كل من له معرفة بأمر الشرع أن يقوم بالوظيفة والدعوة إلى الله ، وإلى تعليم الناس بما ينفعهم بأن ينهاهم عما يضرهم في أصول دينهم وفروعه وقد أعطى الله نبيه ﷺ جميع المعاني الكثيرة في الكلمة الواحدة ، وربما جمع الدين كله كما في حديث أبي رقية تميم ابن أوس الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «الدين النصيحة ثلاثا قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم في صحيحه .

قال ابن الصلاح : النصيحة لله : توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال ، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها ، وتجنب معصيته والقيام بطاعته ومحابه والحب فيه والبغض فيه ،

وجهاد من كفر به ، والنصيحة لـكتابه . والإيمان به تعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته ، والوقوف مع أوامره ونواهيه ، وتفهم علومه وأمثاله وتدبره والدعاء إليه ، وذبّ تحريف الغالين وطعن الملحدين . والنصيحة لرسوله الايمان به وبما جاء به والتمسك بطاعته وإحياء سنته وانتشار علومها ونشرها ومعاداة من عاداها وموالاة من والاها ، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه ، والنصيحة لأئمة المسلمين : معاونتهم على الحق وطاعتهم وتذكيرهم ونهيهم فى رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم .

قال محمد بن نصر المروزى : النصيحة لأئمة المسلمين حب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكراهة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم فى طاعة الله عز وجل .

وقال ابن الصلاح ، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمر دينهم ودنياهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه . انتهى .

قال بعض العلماء : ومن نصحهم دفع المكروه والأذى عنهم وإكرام فقيرهم وتعليم جاهلهم ، ورد من زاغ منهم عن الحق بقول أو عمل ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإن كرهوا محبته لإزالة فسادهم ، ولو حصل له بذلك ضرورة فى دنياه .

كما قال بعض السلف : وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله ، وأن لحمى قرض بالمقاريض ، ومن المعلوم أن الله سبحانه ليس ضعيفاً إلى أحد ، ولكن ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وقد بين الله سبحانه فى كتابه أن الاجتماع والتعاون على الحق هو عماد الدين ، ومن أعظم ما يتقرب العباد به إلى الله رب العالمين ، وقد جمع الله هذه الأصول بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ـ إلى قوله ـ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ودلت هذه الآية الكريمة على أن الفلاح والصلاح فى الدعوة إلى طاعة الله والنهى عن معاصيه،

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو ملاك الدين وجماع الخير ، وسبب حصول النعم واندفاع النقم .

قال صاحب النصايح الدينية: وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قوام الأمر وصلاح الشأن كله ، وبإهمالهما تعطل الحقوق وتعدى الحدود ويخمد الحق ويظهر الباطل ، والمعروف كل ما أمر الله به وأحب من عباده القيام به ، والمنكر كل شيء كره الله فعله وأحب من عباده تركه . انتهى .

قال البغوى فى تفسير قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية . « ومن » صلة ليست للتبعيض كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ولم يرد اجتناب بعض الأوثان . واللام فى قوله « ولتكن » لام الأمر .

قال ابن النحاس فى تنبيه الغافلين ، فى باب الأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر : وبيانه أنه فرض كفاية . وقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء) الآية . فبين سبحانه أن الناجي هو الناهي عن السوء دون الواقع والمداهن عليه ، وقال تعالى (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية . والذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، خارج عن هؤلاء المؤمنين .

وقال القرطبي فى تفسيره : جعل الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرق بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أنَّ أخص أوصاف المؤمنين : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورأسها الدعوة إلى الإسلام والقتال عليه . انتهى كلام القرطبي .

وروى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الشراب عن ورقاء

بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت : « قيل يا رسول الله من خير الناس؟ قال : أتقاهم لرب العالمين ، وأوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » .

وروى عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أمر بالمعروف أو نهى عن منكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله » ذكره القرطبي في تفسيره وخرَّج البزار فى مسنده عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام : الصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، والحج سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، والجهاد فى سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » .

وفى الصحيحين عن جرير رضي الله عنه قال « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » فانظر كيف قرن ﷺ النصح الذى هو عبارة عن الأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر بالصلاة والزكاة ، يتبين لك عظم محلها وتأكد وجوبها .

وفى صحيح البخارى وغيره عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها » والحديث مشهور . فانظر كيف كان الأخذ على أيدى المفسدين والإنكار عليهم ومنعهم عما أرادوا سبباً لنجاتهم أجمعين . وقس على هذا فإنما ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ؛ وفي الحديث المذكور « فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا أجمعين » .

وقد جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « كنا نسمع أن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه ، فيقول : مالك إلى وما بينى وبينك معرفة ؟ فيقول : كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر فلا تنهانى » والواجب على كل مسلم

أن ينصح أخاه ويهديه إلى صلاح آخرته ، وإن كان فيها خراب دنياه ، وعدوه من أرشده إلى نقص آخرته ، وإن كان فيها صلاح دنياه ، ولا شك أن من رأى أخاه على منكر ولم ينهه عنه فقد أعانه بالتخلية بينه وبين ذلك المنكر وعدم الاعتراض عليه ، وليس هذا من الدين فى شىء . إذ لا يؤمن الرجل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وإنما الدين النصيحة ، ومن رأى إنسانا يهوى فى النار ولم ينصحه فإنما إثمه عليه . فتبين بما قدمناه أن الساكت عن إنكار المنكر مع الإمكان شريك فى الإثم يرد مع شريكه النار . اللهم بصرنا مهاوى الاغترار واحشرنا مع عبادك الأبرار ، فإنك ذو الفضل العظيم .

روى الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتسليمك على أهلك

فمن انتقص منهن فهو سهم من الإسلام يدعه ، ومن تركه فقد ولّى الإسلام ظهره » .

قال ابن النحاس بعد هذا الحديث : فانظر أيها الأخ إلى هذا السهم من الدين ، وقد تركه أكثر المسلمين وأصبحوا فيه مداهنين ، لا يلفتون وجوههم إليه ولا يعولون فى دينهم عليه ، كأنهم لا يسئلون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال فى موضع آخر : وألقى الشيطان فى قلوب الجاهلين أنه لا يُطالَب أحد بغير عمله يوم الدين ، وصار إنكار المنكر زلة لا يثبت عليها إلا أَرْجَلُ الرجال ، فمن أنكر قيل : ما أكثر فضوله ، ومن داهن قيل : ما أحسن فى العشرة معقوله . فعمّت الخطوب العظائم ، إذ لم يبق من لا تأخذه فى الله لومة لائم .

وقال رحمه الله فى معنى قوله تعالى (عليكم أنفسكم

لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) الآية. أى بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال سعيد بن المسيب : وقد جاء عن أبى عبيد أنه قال : ليس فى كتاب الله آية جمعت بين الناسخ والمنسوخ فى غير هذه

قال بعض أهل العلم: الناسخ منها إذا اهتديتم. والهدى هنا هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقال ابن المبارك رحمه الله فى قوله (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) هو خطاب لجميع المؤمنين ، أى عليكم دينكم كقوله تعالى (تقتلون أنفسكم) فكأنه قال : ليأمر بعضكم بعضاً وينهى بعضكم بعضاً ، فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب .

وقد روى عن سعيد بن جبير . وقال جابر بن زيد فى الآية « يا أيها الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوايب ، عليكم أنفسكم فى الاستقامة على الدين ، لا يضركم ضلال الناس إذا اهتديتم » .

قال : وكان الرجل إذا أسلم قال له الكفار : سفهت آباءنا وفعلت وفعلت . فأنزل الله هذه الآية بهذا السبب ، وقال سعيد بن جبير : هى فى أهل الكتاب . وقال مجاهد : هى فى اليهود والنصارى ومن كان مثلهم . يذهبان إلى أن المعنى : لا يضركم كفر أهل الكتاب إذا أدوا الجزية .

وقال المهدى : هى منسوخة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والأقوال فى ذلك كثيرة ترجع إلى ماذكرنا ، ولا نعلم أحداً من العلماء ذهب إلى أن المعنى : عليكم أنفسكم لا يلزمكم أن تأمروا بالمعروف ولا تنهوا عن المنكر ، لأن ضلال غيركم لا يضركم . معاذ الله أن يذهب إلى هذا أحد غير الجهلة العوام الهمج الرعاع أتباع كل ناعق ، إذا أمرت أحدهم بالمعروف أو نهيته عن المنكر قال : قال الله تعالى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) على غير تأويلها . كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وما علم المسكين أن شؤم المعصية وعقوبتها فى

الدنيا والآخرة ، تعم المداهن الذى لم ينكر المنكر والذى أنكر بقدر استطاعته ، ولم يغير المنكر . فالظاهر أن العذاب يعمه فى الدنيا والآخرة ، لما فى حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً أنه قال : « إذا أنزل الله سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون فيصابون معهم ثم يبعثون على نياتهم » ولا يسمى المرء صالحاً إلا إذا أنكر بحسب وسعه ، وأما من داهن ولم ينكر مع استطاعته فإنه يصير مع الفاسقين لا من الصالحين ، ولهذا لعن النبى ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، وقال « هم فى الوزر سواء » رواه مسلم ، فأخبر النبى ﷺ أن هؤلاء الأربعة سواء فى الإثم ، لأن الكاتب والشاهد اطلعا على هذا المنكر ولم ينكراه بل ساعداه عليه فكان إثمهم كإثم الآكل ، وفسقهم كفسقه ، فلا جرم أنه يعمهم العذاب فى الدارين ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

وخرج الأصبهانى رضى الله عنه فى الترغيب والترهيب عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها

الناس مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقاً ولا يقرب أجلا، وإن الأحبار والرهبان واليهود والنصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على ألسن أنبيائهم ثم عُمُّوا».

قال ابن النحاس: قلت أرشد النبي ﷺ بهذا الحديث الناس أجمعين، وأمرهم أن يقدموا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يلتفت أحد منهم إلى ما يلقيه الشيطان عنده من الخوف والجزع، وتقدير وقوع المحذور من القتل والضرب، وأنه أيضاً لا يلتفت إلى ما يوسوسه له فى قوله: إنك إذا اعترضت على هذا الظالم وأنكرت عليه قطع رزقك وعزلك عن منصبك، وأخذ مالك ونحو هذا: فإن هذه التقديرات كلها فى الحقيقة وساوس من الشيطان ليضله عن سبيل النجاة ويحشر يوم القيامة مع العصاة. فالواجب على المرء إذا وقع بكل حركة وسكون

أن يعلم أن الرزق مقسوم ، كما أن الأجل محتوم .

وقد قال النبي ﷺ لابن عباس : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » فإن من آمن بهذا وصدق التصديق الحقيق وعمل ليوم الحساب، وأقبل على أمر ربه رب الأرباب . فاز من الله جزيل الثواب ، وفاز عنده بحسن المآب ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . كل هذا كلام ابن النحاس رحمه الله .

قال ابن رجب رحمه الله : وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول : أنا لا أتولى القضاء إلا لأستعين له على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى فى الدعوة إلى الله ، ويتحملون فى تنفيذ أمر الله غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك، فإن المحب إنما يتلذذ بما يصيبه من الأذى فى رضى محبوبه ، كما قال

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فى خلافته : إذاً احرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل ، يا أبت لوددت أنه لو غلت بى وبك القدور في الله عز وجل انتهى.

وتقدم قول بعض السلف : وددت أن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله ، وأن لحمى قُرِّض بالمقاريض.

قال ابن النحاس : وهذا من عادة السلف رضى الله عنهم ، التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهج وإذهاب الأموال ، متعرضين بذلك لأنواع المحن والعذاب ، موطنين أنفسهم على الهلاك ومستحلين ما نالهم من المصائب، صابرين عليه فى ذات الله ، ومحتسبين له عنده .

قال تعالى حكاية عن وصية لقمان لإبنه ﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ .

وأوصى بعض السلف بنيه فقال : إذا أراد أحدكم أن يأمر

بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطّن نفسه على الصبر، وليثق بالثواب من الله، ومن وثق بالثواب لم يجد مسّ الأذى، ولقد كان الله يحفظ أكثرهم من بأس الصائلين ببركة إخلاصهم وحسن مقصدهم وقوة توكلهم وابتغائهم بكلامهم وجه الله عز وجل، وذكر ما جرى عليهم وحماهم الله أشياء كثيرة إلى أن قال: ومن أخلص لله النية أثر كلامه بالقلوب القاسية فليّنها، وفى الألسن الذرية فقيّدها وفى أيدى السلطنة فعقلها، وأما فى زماننا هذا فقد قيد الطمع ألسن العلماء فسكتوا، إذ لم تساعد أقوالهم أفعالهم، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم، فإذا نظرنا إلى فساد الرعية وجدنا سببه فساد الملوك، وإذا نظرنا إلى فساد الملوك وجدنا سببه العلماء والصالحين، وإذا نظرنا إلى فساد العلماء والصالحين وجدنا سببه ما استولى عليهم من حب المال والجاه والثناء، وانتشار الصيت بإنفاذ الكلمة ومداهنة المخلوقين، وفساد النيات فى الأقوال والأفعال، وإذا أراد واحد منهم أن ينكر على واحد من الرعية لم يستطع ذلك، فكيف يستطيع

الإنكار على الملوك والتعرض للمهالك ومفارقة ما استولى على قلبه من حب المال والجاه ، اللهم استر فضائحنا وتول مصالحنا وخذ بأزمّة قلوبنا إليك واستعملنا فيما يرضيك يا أرحم الراحمين.

قال : وقال الله تعالي ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ﴾ معنى لولا ينهاهم فلينهاهم الربانيون علماء النصارى، والأحبار علماء اليهود . قاله الحسن .

وقال القرطبي : وبخ الله سبحانه وتعالى علماءهم في تركهم نهيهم لبئس ما كانوا يصنعون ، كما وبخ من يسارع فى الإثم . قال : ودلت الآية على أن تارك النهى عن المنكر كمرتكب المنكر ، والآية توبيخ للعلماء في تركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتالله إنهم أهل لكل توبيخ وأهل لكل تشديد، فأنى يصلح الناس والعلماء فاسدون ؟ أم كيف ينزجر الناس والعلماء مرتكبون ، أم كيف تعظم المعصية فى قلوب الجاهلين والعلماء بأقوالهم وأفعالهم يهوّنونها ؟ أم كيف يرغبون فى

الطاعة والعلماء لا يأتونها ؟ أم كيف يقفون عند الحدود والعلماء يتعدونها ، أم كيف يتركون المنكرات والعلماء يرونها فلا ينكرونها . أم كيف يتورعون عن الشبهات وهي أطيب جهات العلماء التي يأكلونها ، بل أنواع الحرام لا يأبونها ، وأوامر الورع لا يأتونها ، ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، واعوجوا فاعوج الناس إلا النزع القليل ، لأن الناس تبع لعلمائهم كنظام العود القائم إن استقام استقاموا ، وإن مال في المأثم مالوا . ولهذا كان العالم الذي لا يعمل بعلمه أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، لأنه ضل بعد علمه وأضل الناس ، فكان شرهم مآب . اللهم اصلح علماءنا لتصلح أحوالنا بعلمائنا ، ووفقنا للعمل بما علموا ليفلح الناس بفلاحهم . وخذ بنواصيهم واهد بهم الخلق ووفقهم للطاعة وبصرهم بالحق ، فإن الهداية والغواية إليك . وأنت المسئول في كل خير ، ولا نتكل إلا عليك يا أرحم الراحمين .

وقال رحمه الله في موضع آخر ، لما ذكر أنواعاً من أنواع المحرمات ، قال : ومنها ما يفعله بعض الطوّافين كبيّاع

الكتان والتين والجميز ونحوه، من أنه يبيع المرأة بعد أن يدخل إليها فى دهليز البيت، وهذا منكر يجب منعهما منه، لأن الخلوة بالأجنبية حرام بالإجماع عليه وعليها، وكذا دخول السقا والطحان والمزين وهى وحدها وهو بدعة مكروه ومنكر شنيع، يجب إنكاره والمنع منه على كل قادر من رجل وامرأة. وأطال الكلام فى ذلك إلى أن قال: وكثير منهن لايحتجبن عن صناع زوجها وأجرائه وغلمانه، ويدخل عليها زوجها فيراها تحدث صانعه والبياع فلا ينهاها، ولو قيل له فى ذلك لقال: إنى لا أخاف عليها، كأن الله ما حرم عليها إلا الزنا، وهذا ساقط المروءة فاسق مردود الشهادة، وقد يدخل فيجد السقا فى بيته يصب الماء والمرأة وحدها في البيت تقدم إليه الآنية، وربما رأى السقا فى الطريق فيقول له: اذهب إلى البيت فصب لهم الماء، مع علمه أنه ليس فى البيت غير زوجته أو إبنته أو أخته، وكل ذلك حرام منكر يجب على كل قادر إنكاره، ولو كان الرجل لا يرى شكلها ولا يحدثها

لكانت خلوة بها فى بيته حراماً، فكيف والنساء فى الغالب يباسطنه ويحادثنه ويضاحكنه ، ويمازحنه ، وتسأله عن أحواله فنسأل الله العافية، ونعوذ به من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، والمنكرات من هذا النوع كثيرة جداً، وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله . انتهى

قال بعض العلماء : ومن نصحهم دفع المكروه والأذى عنهم وإرشاد ضالهم ومواساة فقيرهم وتعليم جاهلهم ، ورد من زاغ منهم عن الحق ، بقول أو عمل وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإن كرهوا محبته لإزالة فسادهم ، ولو حصل له بذلك ضرورة فى دنياه ، كما قال بعض السلف : وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله ، وأن لحمى قُرِّض بالمقاريض ، ومن المعلوم أن الله سبحانه ليس محتاجاً لأحد، ولكن ليبلوكم أيكم أحسن عملا . وقد بين الله فى كتابه أن الاجتماع والتعاون على الحق هو عماد الدين ، ومن أعظم ما يتقرب به العباد إلى رب العالمين ، وقد جمع هذه الأصول بقوله تعالى (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله حق تقاته — إلى قوله — ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ودلت هذه الآية الكريمة أن الفلاح والصلاح فى الدعوة إلى طاعة الله، والنهى عن معصيته والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو ملاك الدين وجماع الخير وسبب حصول النعم واندفاع النقم .

وفى هذه الصورة كفاية ، والله يقول الحق وهو يهدي إلى السبيل .

وقال فى موضع آخر : اعلم أنه كما يحرم النظر إلى كل شىء من بدن الأجنبية ، فكذا يحرم عليها النظر إلي كل شىء من بدنه

قال النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : سواء كان نظره ونظرها بشهوة أم لا ، قال بعض أصحابنا : لا يحرم نظرها إلى وجه الرجل بغير شهوة ، وليس هذا القول بشىء. انتهى .

وروى أبو داود وصححه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال : احتجبن عنه، فقلنا : يارسول الله ، أليس أعمى ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ أعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ! » .

قال فى روضة المحبين: قال ابن عباس: الشيطان من الرجل فى ثلاث : فى بصره ، وفى قلبه ، وفى ذكره ، ومن المرأة فى ثلاث : فى بصرها ، وفى قلبها ، وفى عجزها ، إلى أن قال : فإن النظرة باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل وتحريم الرب وسرعة هتك حجاب مانع للوصول متى هتك الحجاب لم يصبر على المحظور ، ولم تقف نفسه عند غاية ، فإن النفس فى هذا الباب لا تقنع بغاية

هذا آخر ماوجدته من هذه النسخة العجيبة والله أعلم .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(مرثية الشيخ محمد بن إبراهيم فى عمه
الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .
مما قاله الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، يرثى بها شيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام ، بحر العلوم الزاخر ، وبدر سما المجد الزاهر ، الإمام العالم العلامة بقية أهل الاستقامة ، الشيخ عبد الله بن الشيخ الإمام عبد اللطيف بن شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، رحمهم الله تعالى :

على الشيخ عبد الله بدر المحافل
نريق كصوب الغاديات الهواطل
دموعاً على الخدين تجرى بعبرة
ولوعة محزون مهاج البلابل

فقد حق أن العين يهراق ماؤها
وتسكب دمعاً بالضحى والأصايل
وان لكبدي أن تذوب وينطوي
فؤادي على حزن به متواصل
وللأنس أن يزورَّ عني جانباً
فإني مصاب القلب مذكى الغلائل
فما مرنا يوم فضيع على الورى
كيوم وفاة الشيخ زاكي الشمايل
فأعظم به من فادح جلَّ خطبه
بل الكل مفجوع مصاب المقاتل
ويالك من رُزيء به انبتَّ جلاننا
وداهية من قاصمات الكواهل
ويالك من نقص عظيم وثلمة
وهدّ لسور الدين صاف المناهل
فهل أحد يرجى لسد انثلامه
وفرجته هيهات ذا غير حاصل

فما أم بكر قد أضلته يومها ... تحن على فقدانه بالمنازل
بأعظم منى لوعة ومصيبة
لدن قيل مات الشيخ جم الفضايل
هو العالم النحرير والجهبذ الذى
يبين الهدى فى مشكلات المسائل
هو الناصح البذال فى النصح وسعه
وغايته كي يُنْتَهى عن أباطل
إمام لعمرى عارف أهل وقته ... طبيب زمان ماله من مماثل
تقى نقى حازم ذو رزانة
وثابت جأش فى اشتداد النوازل
حليم ذكي ذو نُهىً وسماحة ... وذو خلق زاك وحسن شمايل
فقيه نبيه ناسك متورع
وذو نصف فى أمره غير مائل
مهيباً إذا ما جئته ذو تبسم ... وذ شَبَهٍ بالسالفين الأماثل
قفى أثرهم بالصالحات ونصرهم
بدين الهدى العالى على كل طائل

إليه تشد اليعملات وتمتطى
ظهور الفلا من شاسعات المنازل
وصولا لأرحام وإن قطعت له
صفوحاً عن الزلات من جهل جاهل
عفواً عن الجانى عليه وجارم
وعن نائل من عرضه أى نائل
وقد كان شمساً للأنام منيرة وكهفاً العمرى للهداة الأفاضل
وكان شهاباً محرقاً لذوى الردى وأجناد إبليس اللعين المخاتل
يرد على ذى الابتداع ابتداعه ويثنيه مغلولا على غير حاصل
وسيفاً على الكفار قد سل نصله
يفلق من هاماتهم كل طائل
من الترك والأرفاض أخبث شيعة
وعبادة الأوثان أهل الغوايل
وجهمية فى غيرهم من طوائف
وأحزاب كفر قد تحاموا لباطل

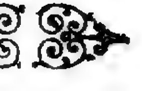
وقد كان رَدْماً دون كل كريهة
تنوب شجى فى حلق كل مماحل
وقد كان قصدا للعفات ومجتدا
ووالد أيتام وغيث أرامل
إذا منصف يوماً تأمل حاله
وبهجته اللارتياح لنائل
تيقن أن الشيخ قد أحرز العلا
بأجمعها سبحان مولى الفضائل
وما قلته من زاكيات خصاله
فوالله نزراً من أقل القلايل
وشهرته تكفي وأخباره التى
يسار بها فى الظاعنين ونازل
فياعين سحِّى أدمعاً بعد أدمع
على وجناتى واستمرى وواصلى
سأبكيه جهدى ما حييت بحرقة
ويبكيه غيرى من شريف وخامل
ويبكيه أصل الدين قطب رحى الهدى
ويشجو على تقريره فى المحافل

ونشر له من بعد لف يبين ما
أراد به الأعلام من كل فاضل
ويبكي فروعا طال ما كان موضحاً
لمرجوحها من راجحات المسائل
ويبكيه حقاً كل صاحب سنة من العلماء العاملين الأماثل
ويبكيه طلاب العلوم بلوعة وأعينهم كالمستهل بوابل
على مجلس ينتابه كل مبتغ
لدين الهدى من استماع وسايل
ومن حافظ تقريره بفؤاده وآخر بالأقلام راوٍ وناقل
ومن قارئ ما يبتغي من مصنف
ولا سيما الأصل المنافي لباطل
وكتب حديث كالبخاري ومسلم
وغيرهما من أمهات الدلايل
فكان لعمري جَنَّة قد تزخرفت
وقد أدنيت منها القطوف لنائل

فهل عوض منها فنقطف مثل ما قطفناه منها عاجلا غير آجل
ويا ليت شعرى أنى كنت واجداً
كمجلسه يوماً فأروى غلائلى
فهيهات هيهات انقضى وتصرمت
لياليه بالحسنى وجم الفواضل
جزاه إله الناس عنا بجنة وأسكنه الفردوس أعلى المنازل
وأخلفه بالخير فى عقب وفى عشيرته والله مولى الفضايل
وأبقاهمو دهراً يذبون جهدهم
عن الملة السمحا برد الأباطل
ووفقهم للصالحات فإنه
قريب لداع مستجيب لسائل
وأبق إمام المسلمين موفقاً
عزيزاً لتنفيذ الهدى فى القبائل
وأحيا لنا أشياخنا أنجم الهدى
لإرشاد غاو بل وتعليم جاهل

وأختم نظمي بالصلاة مسلماً
على أحمد ما أنهل شؤبُ بوابل
وآل وأصحاب وتابعهم ومن
يسير على منهاجهم غير مائل

تمت بحمد الله سنة ١٣٤٣



بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه أيضاً منظومة فى وصف أهل الحق والإيمان ، وحال أهل الزيغ والطغيان ، وإن الإسلام لا يزداد إلا غربة وأهله قلة فى كل زمان ومكان ، أنشأها صالح بن سالم لما رأى ذلك بالعيان ، وقد تغزل فيها . وقد سبقه إلى هذا التغزل كثير من المتكلمين بالنظم ، منهم ابن القيم رحمه الله فى أول الكافية الشافية ، فقال :

حوراء زارتنى فطال تجلدى حذراً عليها من عيون الحسد
خلت الهلال جبينها قد لاح من بين السحائب ذات فرع أسود
نظرت بطرف فاتر أهدابه تُزْرِى السهام وليس ذاك بأرمد
والثغر ذو ظلم قد ابتسمت به فرضابه يحكى السلاف بمسجد
وتجيل مسواكا على رَتْلٍ بدا فسألتها فى صورة المتعبّد
ممن فقالت إننى من بلدة من أرض طَيْبَةَ من مهاجر أحمد
من معشر فيها بفاسد رأيهم قد أحدثوا فى الدين مالم يعهد

من رفعهم فوق القبور مشاهداً　　وصلاتهم أولى بها من مسجد

هذا إذا ما أزمة أزمت بهم　　لم يلجئوا إلا لصاحب مشهد

ويرون ذبحاً والنذور لأهلها　　ودعاءهم أهل البقيع الغرقد

من أفضل القربات عند شيوخهم
والسبق للاجى لها المتردد

ويرون أعياد القبور وردهم　　شبه النبيح أو قراءة مَوْلد

وإذا ذكرت الآى أو أثراً أتى　　لمزوك للمز المنكر المتعبد

فخرجت أطلب رفقة قد آثروا
نص الكتاب ونص شرع محمد

فقدمت مكة والعراق ومصر　　والشام المبارك رغبة فى المرشد

فأتاح لى رب العباد بفضله　　رجلا يرى فرضا هداية مهتد

قال اقصدى نجداً بها أهل لها　　لم تسمعى منهم ندى ياسيدى

فقدمتها وارتحت فى عرصاتها　　جذلانة من بعد قطع الفدفد

فيها أناس كان من ديدانهم
حب الرسول وحب كل موحِّد

لم يشركوا بالله شيئا إنما
فطروا على التوحيد مذ رضعوا الثدى
ويرون أن من الضلالة من يزر … قبراً ليسأله الشفاعة في غد
أو جلب منفعة ودفع مضرة … هذا لعمرى فى الجحيم مخلد
ويرون تسوية القبور وهدّها … بمعاول قد باشروها باليد
سيان عندهم النبى وغيره … في ذا المقام وكل شخص ملحد
حاشا الرسول وصاحبيه فإنهم
قد خصصوا هذى مقالة مهتد
والاقتداء بهم فحتم لازم … ويشفعون وهذه لم تجحد
ويرون منع مسافر لديارهم أهـــل الشرك للسكنى وللمتردد
بل قرروا بأدلة معلومة … حتى يصرح بالعداوة يبتد
فيها ذو الأشراك مع زوجاتهم … والقلب يبغضهم بغير تودد
أو ليس قد نفت المجادل عنهم … الإيمان يا من يستفيق ويهتد
هذا وكم آية نزلت بذا … أو من حديث قد أتانا مسند
هى فى الورى مشهورة معلومة … إلا على أعمى البصيرة مفسد

أوْ مَنْ يقلد فى الأصول مشائخا
كانوا رماداً فى القبور الهمد

في جيده غل من التقليد لا يلوى على نص صريح مرشد
ويرون مع تجريدهم توحيده تجريد سنة ذى الفضايل أحمد
مثلا زمان كل نوع منهما لقسيمه شرط بذا فتقيد
هذى عقيدتهم تلقوها عن الحبر التقى الشيخ أطيب محتد
ذى المنقبات الغر والشيم التى يفنى الزمان وذكرها لم ينفد
درجوا على هذا جميعاً مابهم
من شذ عن هذا السبيل الأوحد
فأجبتها أن الذين عهدت فى أقطار نجد فى الزمان الأبعد
قد أقفرت منهم ديار بعد ما عمرت بهم فالربع صافى المورد

بالله قومى فاندبى زمناً مضى
وأذرى الدموع الجامدات وبدد
فالدار ليست دار عهدك كيف لا
والدين فى نقص بغير تزود

وتبدلت بعماشرٍ هُمْ يدَّعو — ن طريقةالشيخ الذكى الأمجد
لكنهم ما حققوها مثل ما — سلف الأولى من كل هادامهتد
ومن أدعى تحقيقهافى عصرنا — يرمونه بالمعضلات النكد
بل ينسبون له شنايع لم تكن — زوراً وهذا منهموا بتعمد
من بدعة وضلالة مذمومة — أو خارجى فى الشريعة ملحد
ياليتهم رفعوا بنص نبيهم — رأساً وهم بالحق أهل تقيد
لكنهم قد أعرضوا وتعوضوا — بالدين دنيا والهدى بتمرد
والله ما خُلق العباد لجمعها — أو للتنافس فهل طاغ معتد
أو أن يكون المال أكبر همه — أبدا يروح له الزمان ويغتدى
لو كان يدرى العبد أن مقامه — فيها قليل ما فتى بمخلد
وجميع أمواله وقصوره — من غير شك فى الرواح أو الغد
ذو غربة بين المقابر فوقه — أطباق ترب للثرى متوسد
رصب عليه جنادل من بعد ما — يختال فى عال الثياب ويرتد
وأنيسه الأعمال فى ظلماته — إن كان من أهل النعيم السرمد
أولا فإن مقامه فى حفرة — فيها لهيب النار ذات توقد

لو كان للعبد يقين صادقٌ فيما ذكرت رأيته في المسجد
أو مجلس يدعو إلى معبوده جهراً وينشر سنة أحمد
ولربما قد هام مع وحش الفلا من شدة الشوق الذى لم يعهد
فاعذره يامن لم يذق ما ذاقه إن ذقت ماقد ذاقه فلتحمد
هذا وأوصى كل عبد صالح بوصية إن حل فيها يسعد
إن يستقيم على صراط إلهه قولا وفعلا مع جنان مهتد
ومداره تجريده التوحيد مع تجريده لنصوص شرع محمد
وتدل يا هذا علامات على
من يدعى هذا الطريق الأرشد
منها وأعظمها فخشية ربنا سراً وجهراً في الرواح وفى الغد
وكذا قبول الحق ممن قاله أكرم بها من خصلة لم توجد
فى غالب الناس الذين عرفتهم والمحنة العظمى من المسترشد
أما التعصب فهو داء قاتل ما كان بين معاشر فى محشد
ألا تناكرت القلوب وأدبرت
وتبدلت بعد البياض بأسود
وكذاك منها ذكره لإلهه فلسانه رطب بلهجته ندى

من حب شيئاً كان يكثر ذكره
ما سابق للقوم غير مفرد

والزهد فى الدنيافأمر شاهد لمحبة الأخرى بغير تردد
وملاكه الورع الصدوق فمن يرد تحقيق ما قد قلته فليرشد
ودعاؤنا فى وقت كل إجابة لا سيما فى كل عرصة مسجد
أن ينصر الدين ويجمع شملنا وكذاك ينحنا طريقة من هد
ونكون من أنصار دين نبيه وبنصره في كل وقت نهتد
ثم الصلاة مع السلام جميعه أبداً على خير الأنام محمد
وعلى القرابة والصحابة كلهم أهل الفضائل والمقام الأحمد



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ صالح بن سالم رحمة الله تعالى فى غربة الإسلام وفضل الغرباء ، وأن الإسلام لا يزداد إلا غربة ولا يزداد أهله إلا قلة فى زمان .

أقول وأولى ما يرى فى الدفاتر
وأحسن فيض من عيون المحابر
هو الحمد للمعبود والشكر والثنا
تقدس عن قول الغوات الغوادر
وجلّ عن الأنداد لارب غيره
وعن شافع فى الابتداء أو موازر
وصلى على من قام لله داعياً
وشيد أعلام الهدى الشعائر
وأوضح دين الله بعد ما سفت
عليه السوافى فى القرى والجزائر

وعادا ووالى فى رضى الله قومه
ولم يثنه عن ذاك صولة قاهر
محمـــد المبعوث للناس رحمـة
نذاراته مقـــرونة بالبشـــائر
وبعد فإن تعجب لخطب تبلبلت
لفادحه أهل النهى والبصائر
فلا عجباً يوم من الدهر مثل ما
أناخ بنـا من كل باد وحاضر
وما ذاك إلا غربة الدين بأهلـا
مصيبة قوم من عظام الفواقر
ترى أهلهـا مستضعفين أذلة
فما بين طعّان عليهم ونافر
ومستهزء منهم فينغض رأسه
ويرمونهم شُزْر العيون النواضر
وعادام من يدعى العلم والحجى
وكل خليل أو قريب مصاهر

فيا شئت من شتم وقذف وغيبة
وتنقيصهم فى كل ناد افاجر
وأنهموا فى العالمين خوارج
إذا الشرك فيما بينهم كالكبائر
عالو على هذا جميعاً واجلبوا
وما راقبوا فيهم عليم السرائر
وأكبر من هذا وأعظم فرية
موالاة أهل الشرك من كل كافر
وأعينهم فى فعل ذاك قريرة
فمن صامت فى فعله أو مجاهر
ومن قام بالإنكار فهو مشدد
يكادون أن يبدوه فوق المنابر
فأن يحكموا بالسوط ضرباً فإن يكن
رجوع وإلا بالضباء والخناجر
وأصبح ذو الإيمان فيهم كقابض
على الجمر أو فى الجنب صلى المجامر

وإخوانه النزاع فى كل قرية
لدى أهلها فى ذلهم كالأصاغر
وما زادهم إلا ثباتا مع الرضا
بقلب سليم للمهيمن شاكر
فأكرم بهم من عصبة الحق إنهم
لحفظ نصوص الدين أهل تناصر
إذا ما بدا نص الكتاب وسنة
تنادوا عباد الله هل من مثابر
وعضوا عليها بالنواجذ فاهتدوا
وما رغبوا عنها لخرص الخواطر
عليك بهاتيك الصفات منافساً
فلله ما أسنا سناها لسائر
هم القوم لا يثنيهم عن مرادهم
ملامة لوّام وخذلان ناصر
بنفسى فتى مازال يدأب داعيا
إلى ربه أكرم به من مهاجر

مكباً على آى الكتاب دراسة
بقلب حزين عند تلك الزواجر
فياليتنى ألقاه يوماً لعله
يخبرنى عما حوى في الضمائر
ونرفع أيدينا إلى الله بالدعا
لينصر دين المجتبى ذى المفاخر
وينصر أحزاب الشريعة والهدى
ويقمع أهل الزيغ من كل فاخر
فآه على تفريق شمل فهل لما
مضى عودة نحو السنين الغوابر
عسى نصرة للدين تجمع شملنا
تقر بها مما ترى عين ناظر
فيرتاح أهل الدين فيها أعزة
وأعداؤه تحت القنا والحوافر
وأختم نظمى بالصلاة مسلماً الحمد ما ناضت بروق المواطر
على أحمد والآل والصحب والذى على تابع يسمى بفعل الأوامر

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر مروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه

فائدة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال . إذا كان آخر الزمان تظهر خصال بعد خصال وعجائب بعد عجائب يتركون الصلاة ويمنعون الزكاة ويتبعون الشهوات وتكثر فيهم المنكرات وتكثر الخيانات ويتفاخرون بشتم الآباء والأمهات يرفعون أصواتهم فى المساجد والخصومات بالكلام ويطغون ويتكبرون على الفقراء والضعفاء بالنقمات فهنالك تقل الحسنات وتكثر السيئات ويعصى رب الأرض والسموات ، وهنالك تصير السنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم واليوم كالساعة والساعة لاقيمة لها ويفشى الزنى . ويؤكل الرباء ويقل الحياء ويستحقر العلماء وتجور السلاطين وتكثر الفراعين

ويكرم اللئيم ويهان الحليم فلا يوجد فى ذلك الزمان إلا إمام جائر وعالم فاجر وشاب فاسق وشيخ زان وتظهر أقوام وجوههم وجوه الآدميين وكلامهم كلام النبيين وقلوبهم قلوب الشياطين ، يعدون على الحرام كالذئاب الضوارى ، إن بايعتهم غلبوك ، وإن أمنتهم خانوك ، وإن حدثتهم كذبوك ، وإن غبت عنهم أغتابوك ، الفاسق بينهم كالشريف ، والمؤمن بينهم كالضعيف ، دينهم دراهمهم وقبلتهم نساؤهم لا بالقليل يقنعون ولا بالكثير يشبعون . اللهم أجرنا من شر فتنة هذا الزمان الفاسد برحمتك يا أرحم الراحمين .

وفى مراسيل الحسن إذا أظهروا الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الأرحام لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم .

وقال غيره : علامة العاقل أربعة أشياء : الحلم عن

الجاهل ، ورد النفس عن الباطل ، وإنفاق المال فى حقه ومعرفة عدوه من صديقه ، وعلامة الجاهل أربعة أشياء الغضب من غير شىء ، وإنفاق المال فى غير حقه ، وقلة معرفة عدوه من صديقه واتباع النفس بالباطل .

ومر إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة : فقالوا يا أبا إسحاق مالنا ندعوا الله فلا يستجاب لنا . قال إنها ماتت قلوبكم بعشرة أشياء (الأول) عرفتموا الله فلم تؤدوا حقه (والثانية) زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته (والثالث) قرأتموا القرآن فلم تعملوا به (والرابع) أكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها (والخامس) قلتم أن الشيطان لكم عدو ووافقتموه ولم تخالفوه (والسادس) قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها (السابع) قلتم أن النار حق ولم تهربوا منها (والثامن) قمتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم (والتاسع) قلتم أن الموت حق ولم تستعدوا له (والعاشر) دفنتم موتاكم فلم تعتبروا بهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام لابن القيم فى فضول النظر وما يترتب على مخالطة الناس على تنوعها

قال بن القيم رحمة الله تعالى : الحرز العاشر فى إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر تدعو إلي الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه فى القلب واشتغاله به والفكرة فى الظفر به وهذه الفتنة فى فضول النظر كما فى المسند عن النبي ﷺ إنه قال النظر سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره أورثه الله حلاوة يجدها فى قلبه إلى يوم يلقاه كما قال النبي ﷺ فالحوادث العظام إنما هى كلها من فضول النظر ، فكم نظرة أعقبت حسرات ، يا مقلب القلوب كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبدأها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

(وقال آخر)

وكنت إذا أرسلت طرفك رايدا

لنفسك الخير أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله أنت قادر

عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والمقصود أن فضول النظر أصل كل بلاء وأما فضول الكلام فأنها تفتح للعبد أبواباً من الشر كلها مداخل للشيطان فأمسك فضولا تسد عنك تلك الأبواب كلها وكم حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال النبى ﷺ لمعاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وفى الترمذى أن رجلا من الأنصار توفى فقال بعض

الصحابة طوبى له فقال النبي ﷺ وما يدريك فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه وأكثر المعاصى إنما تولدها عن فضول النظر والكلام وهما أوسع مداخل الشيطان فإن جراحاتهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف شهوة البطن فأنه إذا امتلأ ولم تبق فيه إرادة للطعام . وأما العين واللسان والنظر والكلام فجنايتها كثيرة الأطراف والتشعب عظيمة الآفات

وكان السلف يحذرون عن فضول النظر كما يحذرون من فضول الكلام وكانوا يقولون ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان .

وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر فأنه يحرك الجوارح إلى المعاصى ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهما شرا .

وأما فضول المخالطة فهي الداء العضال الجانب لكل

شر وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة وكم زرعت من عداوة وشر وكم غرست فى القلب من حزازة تزول الجبال الراسيات وهى فى القلوب لا تزول ففضول المخالطة فيها خسارة الدنيا والآخرة ، وإنما ينبغى للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر (فأحدها) من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه فى اليوم والليلة وهذا ضرب أعز من الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب فى مخالطتهم الربح كله .

(القسم الثانى من مخالطته)

كالدواء تحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحاً فلا حاجة لك فى خلطته وهم من لا تستغنى عن مخالطتهم

فى مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارات والعلاج للدواء ونحوها . فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقية مخالطة من ؟

(القسم الثالث) وهم من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العُضال والمرض المزمن وهو من لا تربح عليه فى دين ولادنيا ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما فهذا إذا تمكنت من مخالطته واتصلت فهى مرض الموت المخوف ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربانه عليك فإذا فارقك سكن الألم ومنهم من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض العقل الذى لا يحسن أن يتكلم فيفيدك لا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها فى منزلتها بل أن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه

بكلامه وفرحه به ، فهو يحدث من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس ، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض .

ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : ماجلس إلي جنبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي يليه أثقل من الجانب الآخر .

ورأيت يوما عند شيخنا شيخ الاسلام قدّس الله روحه ، رجلا من هذا الضرب والشيخ يحتمله وقد ضعفت القوى عن حمله فالتفت إليّ وقال : مجالسة الثقيل حمى الرِّبع ، ولكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت عادة أو كما قال . وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى الروح فعريضة ولازمة ، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب ، وليس له بدٌّ من معاشرته ومخالطته ، فليعاشر بالمعروف حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا .

(القسم الرابع) من مخالطته الهلكة ومخالطته بمنزلة آكل السم ، فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء ،

وما أكثر هذا الضرب فى الناس لا كثرهم الله وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ، الداعون إلى خلافها الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة والمعروف منكراً والمنكر معروفا، أن جردت التوحيد بينهم قالوا انتقصت جانب الأولياء والصالحين وإن جردت المتابعة للرسول ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين وإن وصفت الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير، قالوا أنت من المشبهين وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا أنت من المفتنين، وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا أنت من أهل البدع المضلين، وإن انقطعت إلى الله تعالى وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا. قالوا أنت من الملبسين، وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم كنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين. فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم أن لا تشتغل بأعتابهم ولا باستعتابهم ولا تبالى بذمهم إغضابهم، فإنه عين كمالك.

كما قال الشاعر:

وإذا أتتك مذمتى من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى فاضل

وقال آخر : ـ

وقد زادنى حباً لنفسى أننى

بغيض إلى كل امرىء غير طائل

فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التى هى أصل بلاء العالم وهى فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة ، واستعمل ماذكرنا من الأسباب التسعة التى تحرزه من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه أبواب جهنم، وفتح عليها أبواب الرحمة وأنعم ظاهره وباطنه، ويوشك أن يحمد عند الممات هذا الدواء ،فعند الممات يحمد القوم التقى وعند الصباح يحمد القوم السرى ، والله الموفق لارب غيره ولا إله سواه . والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه نبذة نقلها الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد
من تاريخ مصر للشيخ عبد الرحمن بن حسن
الجبرتي رحمه الله

الحمد لله المنفرد بالبقاء والتدبير المتصرف في خلقه بالخفض والرفع وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها الشفاعة ليوم خطير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة ما لاح كوكب وقمر منير.

وبعد فهذه كلمات يسيرة ملخصة من تاريخ الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المصري الحنفي في بعض ماجرى بين الوهابيين أهل نجد والعساكر التركية، قطع الله دابرهم ومحى أثرهم وفرقهم وشتت شملهم.

قال وفى ١٢٢١ وردت الأخبار بأن الوهابيين دخلوا مكة والمدينة والطائف وغيرها من بلاد الحجاز، فرتبوا فيها الرجال وضبطوا الثغور وسبب ذلك أنهم قطعوا الميرة عن شريف مكة « غالب بن سرور » وقطعوا السبل وضيقوا عليهم حتى وقعوا فى شدة من غلاء الأسعار، وضيق الحال فصار الأردب من القمح يساوى عندهم خمسمائة ريال وأردب الشعير يبلغ ثلثمائة وعشرة ريال، وهكذا العسل والسمن واللحم، فاضطر الشريف غالب إلى مسالمتهم ومصالحتهم وساروا فى الحجاز سيرة حسنة لم يبلغنا عنهم أنهم أحدثوا شيئاً من الحوادث، سوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع شرب التمباك ظاهراً وهدم القباب المبنية على القبور غير قبة رسول ﷺ فإنهم لم يتعرضوا لها بشىء.

ثم إن الشريف غالب صار يكاتب الدولة ويستحثهم على الخروج لقتال هؤلاء ويرميهم بالأفاعيل المنكرة، ويقول: إنهم خوارج يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم

وأموالهم ، إلى غير ذلك من الأكاذيب التى سيلقى جزاءها عند الله تعالى

وفى سنة ٢٦ استعملت الدولة محمد على باشا على الأقاليم المصرية ، وحثته على قتال الوهابيين واستنقاذ الحرمين من أيديهم مع ما انضم إلى ذلك من الحجاز والثغور

فعندذلك شمر محمدعلى وجدواجتهدو بعث البعوث الكثيرة التى لا يحصى عددها إلا الله،وأمّر عليهم إبنه طوسون ،فعندما وصلت تلك الجموع الكثيرة ينبع،وقد ملؤا اشمابها ووهادها خيولا ورجالا وأموالا وأمتعة ،والوهابيون مقيمون بالصفراء، وهم نحو ستة آلاف خيال فتجهز الفريقان للقتال وتأهبا فحملت الأتراك على الوهابيين شدة رجل واحد فثبت لهم الوهابيون ثباتا صادقا حتى هزمهم الله فولوا مدبرين ، لا يلوي أحد على أحد حتى إن بعضهم صار يقتل بعضا بالرصاص من الشفقة على القطارات خشية أن يسبقه إليها ، ومع هذا لم يكن خلفهم من يطلبهم لأن الوهابيين لا يلحقون مدبراً، فلما وصلوا إلي البحر ركبوا فى السفن والمراكب هاربين إلى

مصر يقول بعضهم لبعض ، « كأن خلفنا والله عفاريت » .

فلما دخلوا مصر إذا هم مذعورون ذعراً شديداً ، وقد تغيرت ألوانهم وأجسامهم ، فلما أراد بعضهم السلام على محمد على باشا منعه من الدخول عليه حاقداً عليهم فى هزيمتهم وعدم ثباتهم للوهابيين .

فصار محمد على باشا يستخبر الناس ويسألهم عن السبب الذى حصل به هزيمة الأتراك؟ فمن قائل : انهزمت الرجال وتبعتهم الخيل ، ومن قائل: لا . الخيالة أولا ثم انهزم بآخرهم بقية العساكر .

وكل هذا ليس بشىء والسبب فى هزيمتهم هو ما حدثنى به بعض الثقات ممن حضر الوقعة قال :

كيف ينصر قوم صحبتهم الخمور والزمور واللواط والفجور حتى إن الرجل منهم يأتى للرجل من العرب ويقول: لابد أن تبعث إلىّ بامرأتك تبيت عندى ليلة وأردها إليك غداً وإلا قتلتك .

والوهابيون لم يكن شعارهم حال القتال إلا قولهم :

«توكلنا على الله ، توكلنا على الله ، توكلنا على الله»

وكانوا إذا دخل الوقت أذّن مؤذنهم بالصلاة وصفوا وانتظموا صفوفاً خلف إمامهم يؤدون صلاتهم بخشوع وخضوع وتؤدة، وإذا تجاولت الفرسان وتضاربت الشجعان صلوا صلاة الخوف الواردة فى حديث غزوة ذات الرقاع ، والأتراك لم يعرفوا صلاة الخوف ولا سمعوا بها فضلاً عن أنهم لم يروا صفة فعلها فصاروا يتعجبون من الوهابيين . فهذه النكتة والغاية التى انتصر بها الوهابيون على الأتراك .

ثم إن الشريف غالب جعل يكاتب الباشا ويشير عليه بأنه يفرق خروج الأتراك وأن قسما منهم يقدمون مع ساحل ينبع وآخرين مع ساحل جده ، ومع ساحل الحديدة حتى يعجز الوهابيون عن مقاومتهم ، ويرسل معهم الأموال لاستمالة قلوب العرب من حرب والحويطات وغيرهم . فقبل هذا الرأى الباشا وما أشار به عليه الشريف غالب ، فأرسل إلى ينبع الجموع الكثيرة والأموال والأمتعة من الكساوى الطيبة والجوخ، وجعلها بيد مصطفى بك ، وأرسل آخرين منهم إلى الحديدة .

بوجدة. فلما وصلت تلك الجموع إلى ينبع جعلوا يستميلون رؤساء العرب وشيوخها فصاروا يعطون الرؤساء من العرب الآلاف الكثيرة من الدراهم الفرنسية فكاتبوا رئيس الحويطات شديد، فأبى القدوم عليهم ولم يزالوا يراسلونه ويستميلونه بوعدهم وأمانيهم فقدم عليهم فأعطوه مائة ألف من الدراهم وأعطوا شيخ حرب ثمانية عشر ألفا مع من انضم إلى ذلك من الكساوى الفاخرة والأشياء النفيسة ورتبوا لكل رجل من آحاد الناس خمسة أريل كل شهر .

والوهابيون لا يعطون أحداً شيئاً . بل يقولون : قاتلوا عن دينكم فبهذا دخلوا الحجاز واستولوا على الحرمين ودانت لهم البلاد ولم يستطع أحد أن يقف أمامهم .

ووردت الأخبار بأن رئيس نجد « سعود بن عبد العزيز » توفى من حمى أصابته . وذلك سنة ١٢٢٩ ، فرحمه الله وصارت الولاية بعده لإبنه عبد الله بن سعود

وفى سنة ١٢٣١ هلك أحمد الملقب طوسون بن محمد أخو

إبراهيم باشا من طاعون أصابه ، فلم يمكث إلا عشر ساعات وقد تغير جسمه بزرقة وسواد ، فانتفخ بدنه فصار مثله مرتين، وانهار لحمه فى ساعة واحدة،فنعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

ثم إن محمد على أمر تلك الجموع العظيمة أن يتوجهوا إلى بلادهم نجد ويدوخوا أهلها بالحرب والضرب،فتوجهوا ممتثلين أمره ورئيسهم إبراهيم باشا فصاروا يقتلون من النجديين ويأسرون حتى صار بينهم وبين الدرعية ثمانية عشر ميلا كما ورد بذلك الخبر من إبراهيم باشا.

وصار محمد على يرسل الطوائف الكثيرة ، كلما ذهبت طائفة أعقبها بأخرى،إمداداً لولده واتصلت العساكر من مصر إلى الدرعية

ثم إن عبد الله بن سعود أوفد رجلين من قومه إلى الباشا للسعى فى الصلح بينهم وإطفاء نار الحرب أحدهما عبد العزيز والآخر عبد الله ، فوصلا مصر واجتمعا بالباشا فكلماه فى

الصلح ووضع الحرب بينهم . فقال الباشا : ما الذى منعكما من طلب الصلح أولا مع أنا قد كتبنا بذلك . فأما الآن لانقبل ولا نمتثل .

فقال عبد العزيز : أما ماتقدم أولا فذاك وقت إمارة سعود وهو رجل مقدام يحب الحركة والقتال ، ولا يستقر له حال إلا ببتر رؤوس الرجال، أما هذا فهو غير أبيه يحب التؤدة والسكون ويكره المداوة والقتال فذا غير الأول .

فقال الباشا : هذا أمر لا نوافق عليه .

فأيسا من عقد الصلح وعلما أن قضاء الله يقيناً لابد واقع، وقد زارنى هذان الرجلان مرتين أو ثلاثاً وسألانى : هل بمصر أحد من الحنابلة ؟ فقلت لهم قد انقرضوا وبحثت معهما فى الفقه والنحو والتفسير والحديث وغيرها فوجدت عندهما علماً غزيراً وفوائد كثيرة لاسيما على مذهب الحنابلة .

وقد ذهبا إلى الأزهر فلم يجدا به أحداً لاشتغال الناس بالحرب وكثرة القلاقل والزعازع .

وفى سنة ١٢٣٣ قدم عبد الله بن سعود مصر أسيراً فأدخل على الباشا فسلم عليه ، وحين راه أجله وأكرمه فقال الباشا: ياعبد الله كيف رأيت ولدى إبراهيم فى الحروب؟ فقال عبدالله: الكل منا لم يقصر ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، قال له الباشا : أتحب أن أكاتب لك السلطان وأستعطفه لك لعله أن يعفو عنك ؟

فقال عبدالله : ماقدر يكون،فأعجبنا من فصاحته وبلاغته وثبات جنانه، وكان معه قفص صغير فقال له الباشا ما هذا الذى معك أتيت به من بلاد نجد يا عبد الله، فأمر به ففتح فإذا فيه أزيد من ثلثمائة جوهرة ولؤلؤة .

فسكت الباشا ووجهه إلى اسطنبول فقتل هناك رحمه الله، رحمة واسعة وجعله من الشهداء الأخيار الذين هم عند ربهم يرزقون .

وفى سنة ١٢٣٤ قدم فى الأسارى جمع كثير من الوهابيين يزيد عددهم عن أربعمائة وأسكنوهم فى محلة عابدين وفيهم علماء وأفاضل .

وفى سنة ١٢٣٥ قدم من الحجاز أناس من المغاربة ومعهم بنات وغلمان من أولاد الوهابيين ، وجعلوا يبيعونهم على من يريد شرائهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كيف يستحلون بيع أناس مسلمين أحراراً يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وفيها قدم إبراهيم باشا بعد انتهائه من حرب النجديين ؟

(انتهى حرفاً بحرف)

رثاء الأندلس

لأبى البقاء صالح بن شريف الرندى

المتوفى سنة ٧٩٨ هـ

وذلك لما ضيعوا أمر الله وشغلوا باهوائهم وشهواتهم :

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة
إذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو
كان ابن ذى يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن
وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد فى إرم
وأين ما ساسه فى الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب
وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له
حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على « دارا » وقاتله
وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب
يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة
وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها
وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الإسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل « بلنسية » ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان
وأين « قرطبة » دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الألف هيمان

على ديار من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
ياغافلا وله في الدهر موعظة
إن كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه
أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
وما لها من طول الدهر نسيان
يارا كبين عتاق الخيل ضامرة
كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة
كأنها في ظلام النقع نيران

وراتعين وراء البحر فى دعة
لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع فى الإسلام بينكم
وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيّات لها همم
أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم
أحال حالهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً فى منازلهم
واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان فى القلب إسلام وإيمان

يارب أم وطفل حيل بينهما

كما تفرق أرواح وأبدان

وطفلة مثل حسن الشمس طلعتها

كأنما هى ياقوت ومرجان

يقودها العلج للمكروه مكرهة

فالعين باكية والقلب حزنان

ومن خطب على أيضاً

رضى الله عنه

أغار سفيان بن عوف الأزدى ثم الغامدى على الأنبار زمان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، وعليها ابن حسان أو حسان البكرى، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها فخرج على حتى جلس على باب السدة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال:

أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، من تركه ألبسه الله ثوب الذلة، وشملة البلاء وألزمه الصغار وسيم الخسف، ومنع النصف ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً سراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي. واتخذتموه وراءكم ظهرياً، حتى شنت عليكم الغارات.

هذا أخو غامد، وقد وردت خيله الأنبار، وقتل حسان

أو ابن حسان البكرى ، وأزال خيلكم من مسالحها . وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فينتزع أحجالها وقلوسيها ورعثها ، ثم انصرفوا وافرين ، ما كلم رجل منهم كلماً ، فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندى ملوماً، بل كان به عندى جديراً . فياعجباً من جد هؤلاء القوم فى باطلهم وفشلكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضا يرمى وفيئا ينهب . يغار عليكم ولا تغيرون . وتُغزون ولا تَغزون ، ويعصى الله وترضون ، فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الحر ، قلتم حمارة القيظ ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالسير فى البرد قلتم أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر، كل هذا فرار من الحر والقر . فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال، وعقول ربات الحجال ، وددت أن الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى إلى رحمته من بينكم،

والله لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم معرفة أوجبت ندما ، وأورثت صــــدرى غيظا ، وجرعتمونى الموت أنفاسا ، وأفسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبى طالب شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب، لله درهم ، وهل منهم أحد أشد لها مراسا، وأطول تجربة منى، لقد مارستها وما بلغت العشرين فيها ، وقد نيفت على الستين، ولكن لا رأى لمن لا يطاع .

قال : فقام رجل من الأزد يقال له فلان بن نفير ثم أخذ بيد أخ له فقال :يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله [رب أنى لا أملك إلا نفسى وأخى] فمرنا بأمرك ، فوالله لنضربن دونك ولو حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد، قال فأثنى عليهما ، وقال لهما خيراً .

وقال: أين تقعان مما أريد ثم نزل .

(هذا الفصل نقلناه من زاد المعاد لابن القيم رحمه الله)

(قصة وفد بنى المنتفق على رسول الله ﷺ)

منقولة من الهدى لابن القيم

روينا عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل فى سند أبيه قال : كتب إلىَّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى ، كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبته إليك فحدث بذلك عنى . قال حدثنى عبدالرحمن بن المغيرة الحرافى .قال حدثنا عبدالرحمن بن عياش الأنصارى عن دَلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب ابن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر قال دلهم : وحدثنيه أيضا أبو الأسود بن عبد الله عن عاصم ابن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له ، يقال له : نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط : خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله

ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ألا إنى قد خبأتُ لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لتسمعوا اليوم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه ؟ فقالوا اله اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ألا ثمّ رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال ألا إنى مسئول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ، ألا اجلسوا فجلس الناس فقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت : يارسول الله ما عندك من علم الغيب فضحك فقال :لعمر الله أعلم أنى ابتغى السقطة فقال: إن ربك عنده مفاتيح الغيب منها خمسة أشياء لايعلمها إلا الله وأشار بيده فقلت : ماهى يارسول الله ؟ قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ،وعلم المنى حتى يكون فى الرحم قد علمه وما تعلمونه ،وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه ، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب .

قال لقيط : لن نعدم من رب يضحك خيراً يارسول الله، قال : وعلم يوم الساعة قلنا يارسول الله علّمنا مما تعلم الناس وتعلم ، فأنّا من قبيل لايصدق تصديقنا أحد من مذحج التى تدنو علينا وخثعم التى توالينا وعشيرتنا قال : ثم تلبثون مالبثتم ثم تبعث الصائحة فلعمر إلهك ماتدع على ظهرها شيئاً إلا مات تلبثون مالبثتم ثم يتوفى نبيكم والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك عز وجل يطوف فى الأرض وخلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر إلهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا من ميت إلا انشق القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه فيستوى جالساً فيقول ربك مهيم لما كان فيه يقول يارب أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثا بأهله ، فقلت : يارسول الله فكيف يجمعنا بعد ما فرقتنا الرياح والبلاء والسباع فقال: أنبيك بمثل ذلك فى آلاء الله الأرض أشرفتَ عليها وهى في مدرة بالية ، فقلت لاتحيا أبدا ثم أرسل الله عليها

السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفتَ عليها وهي شربة واحدة ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأسواق ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم قال . قلت : يارسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا ، وننظر إليه قال : أنبئك بمثل هذا في آلاء الله : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتها قلت يارسول الله : فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه قال تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لايخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم فلعمر إلهك ما يخطى وجنة أحد منكم منها قطرة . فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء ، وأما الكافر فينضحه أو قال فينطحه بمثل الحمم الأسود ، ثم ينصرف نبيكم وتفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة من النار فيقول « حِسْ »

فيقول ربك عز وجل : أو أنه ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أعظم شيء والله ناهلة قطاً رئيتها ، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع على قدح يطهره من الطوف والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا . قال قلت : يارسول الله فبما نبصر . قال: بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبال قال قلت : يارسول الله فبما نجزي من سيئاتنا وحسناتنا ؟ قال ﷺ : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو . قال قلت : يارسول الله ما الجنة وما النار؟ قال لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبوابه ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وأن الجنة لها ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما . قلت يارسول الله : وهل نبصر ما بها من أنهار ؟ قال : بها أنهار من عسل مصفى وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن ما يتغير طعمه ، وماء غير

آسن ، وفا كـهة ، ولعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه أزواج مطهرة . قلت : يارسول الله أوَ لنا فيها أزواج ومنهن مصلحات ؟ قال : المصلحات للصالحين . وفى لفظ : الصالحات للصالحين تلذونهن ويلذونكم مثل لذاتكم فى الدنيا غير أن لا توالد .

قال لقيط : فقلت : يارسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه فلم يجبه النبي ﷺ قال قلت : يارسول الله علام أبايعك ، فبسط النبي ﷺ يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وزيال المشرك ، وأن لا تشرك بالله إله غيره .

قال : قلت يارسول الله وأن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض رسول الله ﷺ يده فظن أنى مشترط مالا يعطينه . قال قلت : نحل منها حيث شئنا ولا يجنى على امرىء إلا نفسه . فبسط يده وقال لك ذلك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك . قال : فانصرفنا عنه ثم قال : ها إن ذين ، ها إن ذين من أتقى الناس فى الأولى والآخرة . فقال له كعب بن الجذاريه

أحد بنى بكر بن كلاب : من هم يارسول الله ؟ قال بنو المنتفق بنو المنتفق بنو المنتفق — أهل ذلك منهم ؟ قال : فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت : يارسول الله هل لأحد ممن مضى من خير فى جاهليتهم ؟ فقال : رجل من عرض قريش والله إن أباك المنتفق لفى النار قال فكأنه وقع حر بين جلدى ووجهى ولحمه مما قال لأبى على رؤوس الناس ، فهممت أن أقول وأبوك يارسول الله ثم إذا الأخرى أجمل . فقلت : يارسول الله وأهلك قال : وأهلى لعمر الله حيث ما أتيت على قبر عامرى أو قرشى ، أو دوسى فقل أرسلنى إليك محمد فأبشر بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك فى النار . قال قلت : يارسول الله ومافعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لايحسنون إلا إياه ، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون ؟ فقال ﷺ : ذلك بأن الله بعث فى آخر كل سبع أمم نبياً فمن عصى نبيه كان من الظالمين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته

على أنه قد خرج عن مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى رواه عنه إبراهيم ابن حمزة الزبيرى، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما فى الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن اسماعيل البخارى. ورواه أئمة أهل السنة فى كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا فى أحد من رواته. فمن رواته الإمام أحمد بن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله إبن أحمد بن حنبل فى مسند أبيه وفى كتاب السنة: وقال كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى. كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عنى ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل فى كتاب السنة له، ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان الغسال فى كتاب المعرفة، ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى فى كثير من كتبه، ومنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن

حبان أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب السنة . ومنهم الحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى فى مسنده حافظ أصبهان . ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد ابن موسى بن مردويه ، ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد ابن عبد الله بن إسحاق الأصبهانى ، وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم .

وقال ابن منده : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعانى وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما . وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازى وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم فى إسناده ، بل رووه على سبيل القبول والتسليم ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة .

هذا كلام أبو عبد الله بن منده وقوله : تهضب أى تمطر ، والأصواء القبور . والشربة بفتح الراء الحوض الذى يجتمع

فيه المـاء . وبالسكون الحنطة يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب . وعلى رواية السكون يكون قد شبَّه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها وقوله : « حس » كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحـــرقه أو يؤلمه قال . قال الأصمعى : وهى مثل أوّه وقوله يقول : يقول ربك عز وجل أو إنه قال ابن قتيبة فيه قولان . أحدهما أن يكون بمعنى نعم والأخرى أن يكون الخبر محذوفا ، كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على مايقول والطوف الغائط . وفى الحديث : لايصلى أحدكم وهو يدافع الطوف ، والبول والجسر الصراط . وقوله : فيقول ربك مهيم أى ماشأنك وماأمرك . وفى ما كنت فيه . وقوله أشرف عليكم أزلين الأزل يكون بسكون الزاى : الشدة والأزل على وزن كتف هو الذى قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط . وقوله : فيظل يضحك هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التى لايشبهه فيها شىء من مخلوقاته كصفات ذاته .

وقد وردت هذه القصة فى أحاديث كثيرة لاسبيل إلى ردها ، كما لاسبيل إلي تشبيهها وتحريفها. وكذلك أصبح ربك يطوف فى الأرض هو من صفات فعله كقوله : وجاء ربك والملك. هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتيا ربك وينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ويدنو عشية عرفة يباهى بأهل الموقف الملائكة .

والكلام فى الجميع صراط واحد مستقيم إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل . وقوله : والملائكة الذين عند ربك ، لا أعلم موت الملائكة. جاء فى حديث صريح إلا هذا وحديث إسماعيل رافع الطول . وهو حديث الصور ، وقد استدلوا بقوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) وقوله : فلعمر إلهك هو قسم بحياة الرب جل جلاله ، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها ، وأنها قديمة وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر ويوصف بها، وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء

وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر دالة عليها. وقوله ثم تجيء الصائحة، هي صيحة البعث ونفخته وقوله: حتى يخلفه من عند رأسه، هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده، شبه النشأة الأخرى بعد الموت بإخلاف الزرع بعد ما حصد، وتلك الخلفه من رأسه كما ينبت الزرع، وقوله: فيستوى جالساً هذا عند تمام خلقته وكمال حياته. ثم يقوم بعد جلوسه قائماً ثم يساق على موقف لقيامه إما راكباً أو ماشياً. وقوله يقول: يارب أمس اليوم إستقلال لمدة لبثه فى الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال: أمس أو بعض يوم، فقال اليوم يحسب أنه حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم وقوله: كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلا والسباع. وإقرار رسول الله ﷺ له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون فى دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان بل كانوا مشغولين بالعمليات. وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم

بالعلميات وفيه دليل على أنهم كانوا يوردون علي رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات فيجبهم عنها بما يثلج صدورهم. وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه للتعنت والمغالبة، وأصحابه للفهم والبيان وزيادة الإيمان وهو يجيب كلا عن سؤاله، إلا مالا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة وفى هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعد مافرقها وينشئها نشأة أخرى ويخلقه خلقاً جديداً كما سماه فى كتابه كذلك فى موضعين فيه.

وقوله: أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله، آلاؤه نعمه وآياته التى تعرف بها إلى عباده، وفيه إثبات القياس فى أدلة التوحيد والمعاد والقرآن مملوء منه، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على كل شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله وقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد فى كتابه أحسن تقرير وأبينه، وأبلغه وأوصله إلى العقول والفطر. فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيباً له وتعجيزاً له وطعناً فى

حكمه تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقوله فى الأرض أشرقت عليها وهى مدرة بالية. هو قوله تعالى: يحيى الأرض بعد موتها. وقوله ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء إهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ونظائره فى القرآن كثيرة.

وقوله: فتنظرون إليه وينظر إليكم، فيه إثبات صفة النظر لله عز وجل وإثبات رؤيته فى الآخرة. وقوله: كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد، قد جاء هذا فى هذا الحديث، وفى قوله فى حديث آخر: لاشخص أغير من الله. والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع فى قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولا وأصح أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك. وحقق ﷺ وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس والقمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذى يظنه المعطلون.

وقوله: فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم:

فيه إثبات صفة اليد له سبحانه. بقوله وإثبات الفعل الذى هو النضح والريطة الملاء والحمم جمع حممة وهى الفحمة. وقوله: ثم ينصرف نبيكم من هذا. إنصراف من موضع القيامة إلى الجنة. وقوله: ويتفرق على أثره الصالحون، أى يفزعون ويمضون على أثره. قوله: فتطلعون على حوض نبيكم. ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر.

وللسلف فى ذلك قولان: حكاهما القرطبى فى تذكرته والغزالى وغلط من قال: إنه بعد الجسر.

وقد روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم هلم. فقلت إلى أين؟ فقال إلى النار والله. قلت ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم. قال: فهذا الحديث

. صحته أول دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم ، فمن جازه سلم من النار .

قلت : وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف ، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً . وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط .

فحديث أبى هريرة هذا وغيره يرد قولهم ، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه . فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو يناقض كونه قبل الصراط فإن قوله طوله شهر وعرضه شهر ، فإذا كان بهذا الطول والسعة فالذى يميل إلى إمتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده فهذا فى حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق ، والله أعلم .

وقوله : والله على أظمأ ناهله قط. الناهلة العطاشى الواردونه الماء، أى يردونه أظمأ ماهم إليه وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط فإنه جسر النار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتد ظمأهم إلى المـاء فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه فى موقف القيامة .

وقوله : تخنس الشمس والقمر : أى يختفيان ويحتبسان ولا يران . والاحتباس من التوارى والاختفاء . ومنه قول أبى هريرة : فانخنست منه . وقوله : ما بين البابين مسيرة سبعين عاما يحتمل أن يرد به أن ما بين الباب والباب هذا المقدار ويحتمل أن يرد بالبابين المصراعين . ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاما . بوجهين : أحدهما أنه لم يصرح فيه راويه بالرفع بل قال : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاما : والثانى أن المسافة تختلف باختلاف سرعة مسيرة السير منها وبطئه . والله أعلم .

وقوله : فى خمر الجنة أن مابها صداع ولا ندامة تعريض

بخمر الدنيا وما يلحقها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمال، وحصول الشر الذى يوجبه زوال العقل . والماء الغير الآسن: هو الذى لم يتغير بطول مكثه. وقوله : فى نساء الجنة غير أن لاتوالد .

قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة على قولين : فقالت طائفة لا يكون منها حبل ولا ولادة . واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه فى المسند وفيه غير أن لامنى ولا منية . وأثبتت طائفة من السلف الولادة فى الجنة. وحجته بما رواه الترمذى فى جامعه من حديث أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وصفته فى ساعة كما يشتهى » .

قال الترمذى : حسن غريب . رواه ابن ماجة قالت الطائفة الأولى هذا لا يدل على وقوع الولادة فى الجنة ، فإنه علقه بالشرط فقال: إذا اشتهى ولكنه لا يشتهى . وهذا

تأويل إسحاق بن راهويه حكاه البخارى عنه . قالوا : والجنة دار جزاء على الأعمال ، وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء . قالوا الجنة دار خلود ولا موت فيها، فلو توالد فيها أهلها على الدوام لما وسعتهم وإنما سعتهم الدنيا بالموت .

وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت : إذ إنما تكون للمحقق الوقوع لا المشكوك فيه ، وقد صح أنه سبحانه ينشىء للجنة خلقاً ليسكنهم إياها بلا عمل منهم ، قالوا: وأطفال المسلمين أيضاً فيها بغير عمل. وأما حديث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم فإن أدناهم من ينظر فى ملكه مسيرة ألفى عام .

وقوله : يارسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه . لاجواب لهذه المسألة، لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهاءها فلا يعلمه إلا الله ، وإن أراد ما نحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار ، فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهى إليه من ذلك .

وإن كان الانتهاء إلى نعيم أو جحيم، ولهذا لم يجبه النبي ﷺ.

وقوله في عقد البيعة وزيال المشرك . أي مفارقته ومعاداته فلا تجاوره ولا تواله ، كما جاء في الحديث الذي في السنن لاتراءى نارهما . يعني المسلمين والمشركين .

وقوله : حيث مامررت بقبر كافر فقل: أرسلني إليك محمد. هـذا إرسال تقريع وتوبيخ لاتبليغ أمر ونهـي . وفيه دليل على سماع أصحاب أهل القبور كلام الأحياء ، وخطابهم لهم . ودليل على أن من مات مشركا فهو في النار ، وإن مات قبل البعثة ، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به وقبحه ، والوعيد عليه بالنار ، ولم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم .

وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن ، فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت ولو لم

يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته ، وأنه يستحيل فى كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر . وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها ، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد فى الأرض معلومة لأهلها ، فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل ، والله أعلم . انتهى من زاد المعاد .

تاج الدين

فيما يجب على الملوك والسلاطين

للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي
رحمه الله

تعريف موجز بمؤلف هذه الرسالة :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني المراكشي المغربي ، وكان يعيش في آخر القرن التاسع معاصراً لجلال الدين السيوطي إذ كانت بينهما مراسلات ، وقد سافر إلى اليمن حتى انتهى إلى أهيراء[1] عذبن وكنتو وكتينة . حتى وصل إلى جاوا عاصمة مسكيا في سنة ٩٠٠ ، وله كتاب

---

(١) قال في تطريز الديباج : دخل بلاد أهر ، ودخل بلاد تنكدة ثم دخل بلاد كنو وكشن من بلاد السودان . . وكتب رسالة في أمور السلطنة . إلى آخره .

فى الفرائض وكتاب فى الأحكام ، وألف هذا الكتاب أثناء تنقله ، وطبع بالعربية والإنكليزية . وتوفى رحمه الله فى سنة ٩٠٩ فى توات .

نقلا عن مقدمة طويلة للكتاب أخذت من كتاب « الابتهاج شرح الديباج » .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة تاج الدين ومصباح المسلمين أبو عبد الله محمد بن الشيخ المرحوم عبد الكريم بن محمد المغيلى ، لطف الله به آمين ورحمه .

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على رسول الله خير خلق الله محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . وفقك الله للتقوى وعصمك من نزع الهوى، فإن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله ، فما أعظم فضلها وما أثقل حملها ، إن عدل الأمير ذبحته التقوى ، بقطع أوداج الهوى ، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى ، وعليك بتقوي الله (كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)

وسأذكر لك من ذلك جملة مختصرة فى ثمانية أبواب ، والله الموفق للصواب .

الباب الأول

فيما يجب على الأمير من حسن النية

الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى ، فعلى كل ذى عقل وأمانة أن يبعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها ، فتوكل على الله ، واستعن فى أمرك كله بالله ، وليكن عملك كله لوجه الله .

وذكر نفسك أنك واحد من خلق الله ، كثير أقوى منك ، لولا نصر الله ، فليكن طمعك كله فى الله ، وخوفك كله من الله ، وهمك كله فى مصالح خلق الله ، ما ولاك الله عليهم لتكون سيدهم ومولاهم ، وإنما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم ، واشكر نعمة الله عليك وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تقنط من رحمة ربك فكم من كرب فرجه الله (رأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب الثانى

فيما يجب على الأمير من حسن الهيئة

الإمارة مقمعة للنفس الأمارة ، فعلى كل أمير أن يرتدى برداء الهيبة فى الحضرة والغيبة ، فأظهر حب الخير وأهله ، وأبغض الشر وأهله ، وزين جسمك وطيب ريحك وحسن ثوبك بمباح من زينة الرجال غير متشبه بالنساء ، ولا مفسد لبيت المال ، فلا تتزين بذهب ولا فضة ، ولا حرير بحال .

فإن ذلك قبيح ودناءة وضلال ، وتربع إن جلست . واسكن ما استطعت ولا تعبث ولو بيدك ، واغضض من بصرك وليكن نظرك تفرساً ، وإطراقك تفكراً ، وإقبالك على الخلق بوجه أداء الحق ، ولا تفتح فمك ولو للتثاؤب على الخلق ، فإن كاد أن يغلبك فاذكر ربك يذهب عنك ، وإن غفلت حتى غلب عليك فسد فاك بظاهر إحدى يديك .

(شعراً)

ولا تقهقه أبداً فإنما يقهقه الأعمى ويزداد عمى
وكن على الصمت حريصاً دائماً
فقلما يسلم من تكلما
وإن يكن لابد فاختر محكما
واخفض من الصوت لئلا تندما

والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فقدم عقلك بين يدى لسانك ، فإن لسانك مرآة قلبك، وقلبك مجمع شأنك .

أقبح القبائح إثنان : كبر الفقيه ، وكذب السلطان .

فإذا تحدثت فأصدق ، وإذا وعدت فأوف، وإذا أمرت بشيء أو نهيت عن شيء فلا تغفل عنه حتى تبلغ المقصد منه ، وإياك أن تقصر خطوتك عن مقالك فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك .

(شعراً)

إذا أهمل السلطان شأن مقاله
فقد بان منه الضعف فى كل حاله

وأمسى كليل الأمر والنهى فى الورى
ورامى بثوبى عزه وجماله

ولاتقرب لمجالسك وخدمتك ناقصاً فى أعين الناس ، فإن دائرة المرء لباسه، فاختر خير لباس .

(شعراً)

إذا قرب السلطان أخيار قومه
وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرب السلطان أشرار قومه
وأعرض عن أخيارهم فهو طالح
وكل امرىء ينبيك عنه قرينه
وذلك أمر فى البرية واضح

ولاتجعل نفسك عبد ثوب ولا حصان ، ولا عبد بساط ولا مكان ، وبالجملة حال الرعية وحال السلطان كفتان فتصرف فى حالك بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان (ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب الثالث

فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته

الإمارة سياسة فى ثوب رياسة. فعلى كل أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته على ما يتمكن به من صلاح رعيته ، فمن ذلك خدام بالحضرة يتصرفون ، وعقلاء يشيرون ، وأمناء يقبضون ويصرفون ، وكتاب وحساب يحفظون ، ورسل وجساس . وحفظة وعساس ، ومن ذلك أيضاً علماء تقاة يرشدون ، وأئمة فضل يجمعون ، وعدول يشهدون ، ومحتسبون يكشفون ويصلحون ، وأرباب شرطة يزجرون ، وشفعاء يشفعون ، وقضاة ثقات يفصلون ، ورجال معظمون لوجه الله وعمال يجبون حق الله ، ووزراء لايخشون إلا الله ، ومن ذلك أيضاً حصن حصين مكفى بالخزائن ، وخيل خديدة ، وظهور شديدة ، ورجال شجعان حاضرة فى كل أوان ، وعدد كثيرة متينة ، وأطباء عارفة أمينة ، ومن ذلك أيضاً فى الحروب وزراء يجمعون الرجال ويخففون الأثقال ، ويحملون

على الحذر ، وحمل السلاح ، ويرتبون الجيش للكفاح . بصدر ثابت من الأبطال ، وجناحين من سائر الخيل والرجال ، وبلغاء يشعلون القلوب ويقدحون الحروب ، وعرفاء بالحروب برأيهم تنكشف الكروب ، فإن الحرب خدعة ليس بالكثرة ولا بالسرعة .

(ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب الرابع

فيما يجب على الأمير من الحذر بالحضر والسفر

الإمارة غرر جنتها الحذر ـ فأظهر القوة والجلد والزهد في الصاحبة والولد ، والرغبة في الأبطال والمدد ، وانهض عن مجاورة الهر والفأر لمساورة ليوث القفار .

(شعراً)

ألا قبح الله الجبان من الورى

وأكساه ثوب الخزى فى طبق الثرى

أبالجبن كان الملك يملك قلبنا
وما الملك إلا بالشجاعة يشترى
أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ومقام السلطان فى الحضر رأس كل فتنة وضرر .

(شعراً)

مجال عقاب الطير فى الجو والفلا
وأنشط ديك فى البيوت يجول
وما الملك إلا للعقاب بعزمه
وللديك صوت فى الدجاج يصول

فاركب جياد العزم على سروج الحزم ؛ وأحى البلاد من قحط الفساد بريح المضمار وسحاب الغبار، ورعد الصهيل وبرق الصقيل وصواعق السيوف وأمطار الصفوف. فالملك بالسيف لا بالتسويف، وهل يندفع الخوف إلا بالتخويف، ولا يقرب من طعامك وشرابك وفراشك وثيابك إلا أقرب أحبابك.

ولا تفارق الدرع والسلاح . ولا يقرب منك إلا أهل الأمانة والصلاح . ولا تنم بغير مكان أمين وغير مرقدك فى كل حين . واترك زيك المعروف فى كل مكان مخوف . وادن بحماك فى كل حين وآن عصبة أمناء شجعان عساس ورماة . ورجال وفرسان . والبس وقت الخوف كوقت الأمان . واكتم سرك عن غيرك حتى تتمكن من أمرك . وخذ حذرك من النمامين ولو كانوا أكثر من سبعين . ولا تغتر بظواهر الرجال . وكن كيساً فطناً فى كل حال رسل الهدية عيون صرفهم كيس وإمسا كهم جنون (وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون) .

وأزل كل حصن لا تقدر عليه ، لئلا تستند أعداؤك إليه فتنقسم الرعية ، وتعظم البلية . وخف من الحبل لئلا تلسعك الحية .

(ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب الخامس

فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور

الإمارة حلية فى ديوان الحيلة . فعلى كل أمير أن يكشف عن بعض الأمور بحسب المقدور ، وذلك كل أمر ولو أعفى عنه لخشي ضرورة منه ، فمن ذلك أن يسأل عن كل ما جهل من العدول والأمناء والمتقين قبله والأوصياء . ويحجر على كل مهمل من يتيم وسفيه. ويأمر برفعه إليه ليولى عليه . ويكشف عن عدد ورثة كل من مات . وعن شأن كل من ترك من ضعفاء البنين والبنات . وعن بيت المال وأرزاق العمال ، وعن كل ما هو موكول للنظر من مال وغير مال . لكن على الاستبصار والورع . لا على جهة الإضرار والطمع .

(شعراً)

إذا أهمل الراعى المواشى فى الخلا
وألوى إليها فى المراح وأهملا
فما هو إلا واحد من أسودها وعما قليل تنجلى عنه أولا

ومن ذلك أيضاً أن يحتفظ على عماله فى جميع أعماله ويتدبر أقوالهم ويختبر أحوالهم ، ويحصى قبل الولاية أموالهم ، ويتفقد في كل حين أعمالهم ، فكل من ظهر منه تقصير زجره ، وكل من خشى منه ظلماً عزله . وكل من تكررت فيه الشكوى من غير بيان أبدله إن وجد بدله وإلا كان لهم كسلم الدار لربها . وكماسك قرون البقرة لحالبها وكل ما زاد على أموالهم أخذه . وإن شك فيه قسمه ، وليكن عليهم كراعى الماشية بين الأسود الضارية . فمن عمال السوء جميع الفساد فى كل البلاد .

(شعراً)

إذا كنت فى أمر فكن فيه ناصحاً
وإن تستنب فاختر خياراً لأهله
ومن يأت بالكلب العقور لبابه
فعقر جميع الناس من سوء فعله

عاملك عملك ، وفعله فعلك ، إن أحسن فالثواب لكما ،

وإن أساء، فالعقاب عليكما ، ومن ذلك أيضاً أن يكشف عمن قويت فيه تهمة الفساد إن شهد بوجود علاماته كشف الأمير عن بينة ، فإن وجده فيه نكله وكسره وإلا توعده وزجره، ومن ظهرت عليه علامات كشرب من رائحة أو كلام أو مشى استثبته . فإن ثبت عليه رائحة خمر فسكشر به ولو لم يكن متهما بذنبه . وإن شك فى رائحة زجر بحسب قربه وبعده . ومن وجد مع امرأة على حالة منكرة زجر بموجع الجلد ، إن لم يثبت عليه موجب الحد ، ومن ذلك أن يكشف عن أخبار الأعداء الجساس الأمناء فى كل أوان ، من فتنة وأمان ، حتى لا يخفى عليه شىء من حركاتهم وسكناتهم فى كل زمان ، فإن الجهل عمى .

والبصير يغلبّ ألف أعمى ، وأعظم كل بلية صيحة الغفلة على الرعية ، وتدبر قول بلقيس « وإنى مرسلة إليهم بهدية » .

ومن ذلك أيضاً أن يكشف عن ذم النمامين ومدح المداحين. فكم قربوا من بعيد وكم بعدوا من قريب ، وكم حببوا من

عدو، وكم كرهوا من حبيب، وكم خرب النمام من قصر مشيد بشفتيه لا بفأس من حديد . فأبعد النمام عنك من بعيد. كم سفه النمام من عقل رشيد . ومنهم من يمدح كثيراً ثم يذم أو يذم كثيراً ثم يمدح ، لتنتفى التهمة عنه إن ذم أو مدح .

فاكشف عن كل قضية . واحذر من أعوانك بالكلية فكم حولت الهدية من ناسك إلى اليهودية والنصرانية .

« ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية » .

الباب السادس

فيما يجب على الحكام من العدل فى الأحكام

للسلطنة رجلان : العدل والإحسان . فالعدل أن يوفى كل ذى حق حقه من نفسه وغيره ، والإحسان أن يتفضل من نفسه لا من غيره ، فمن العدل أن يسوى بين الخصمين فى دخولهما وجلوسهما والنظر إليهما والكلام معهما ، وغير ذلك من شأنهما ، وليكن فى جميع شأنه بمعزل عن ظهور الميل

لأحدهما أو غيرهما من قبض ينفر أو بسط يجسر فلا يرد على من سلم عليه غير السلام ، ولا ينبسط إليه ببشاشة ولا كلام حتى يتبين له أنه ليس من أهل الخصام ، ولا ذريعة فيه للحرام. فإن سأله أحد الخصمين أو كلاهما عن مسألة أو حال من أحواله: فليعرض عن سؤاله ، وليقل لهما أقبلا على شأنكما واستويا فما بينكما . لا أرجحية اليوم لأحدكما . فإن ظهرت أرجحية لأحدهما بدخول أو مكالمة أو نحوها — فليبين للآخر تسويتهما. وليعدل بعد ذلك بينهما .

ومن العدل أيضاً أن يعطى كل واحد من الأخصام نوبته من الكلام ، ثم لا يقبل من الشهود إلا عدلا رضا فيما سبق إليه لا تهمة فيه على المشهود عليه . فإن تعذرت العدالة كرفقة جهل أو قرية ضلالة . فبأمثلهم فى الصدق حالة . بعد كشف واستكثار وسياسة واستبصار فإن على الشهادة مدار الأمور ، وأكثر الشهداء بالضلالة مغرور . وبالجهالة مغمور . ثم لابد أن يطلع المطلوب عن أسباب الطالب ،

ويعذر إليه حيث لايخاف من ظلمه عليه . فإذا انتهى الأمر إلى حده حكم بعد المشاورة فى قصده . ولا يجوز له شيء من أحكامه إلا بمشهور مذهب إمامه . فإن الحكم بغير المعتمد جور وضلال ، ويجب نقضه على كل حال . ويختص دعاوى الجنايات بأنواع من السياسات . فالمدعى عليه بسرقة من غير بينة ، ثلاثة أقسام : قسم بعيد عما نسب إليه . فهذا لا يلتفت لدعوى المدعى عليه . بل يؤدب له إن كان من أهل الصلاح لأجل ما نسب إليه ، وقسم قريب من الدعوى فهذا لا بد له من البلوى يحبس ويهدد ويلوم ويجلد بحسب الجريمة وبعده من التقوى ، وربما يغرم بها كسرقة بالدعوى واليمين من غير تبيين . وذلك حيث علم بمثل الدعوى واشتهر . وتكرر منه الضرر . لأن شهرته بما نسب إليه يصير المدعى كالمدعى عليه ؛ ومن تكررت منه الإذاية واشتهر وتكرر منه الضرر . حبس حتى تظهر توبته أو يقبر . وقسم بين القسمين لا يعلم من أى الجزئين فهذا لا بد أيضاً من اعتقاله ، وكشف الحاكم عن حاله : فإن تبين قسمه

من القسمين حكم له بحكم من الحكمين ، وإلا أرسله بعد سياسة وتهديد وكشف ووعيد بحسبما يقتضيه النظر من التشديد ، كل ذلك بالتقوى لا بالهوى . وليس كل الناس سواء . فهذا حكم من ادعى عليه فى سرقة كسرقة من غير بينة .

أما من ادعى عليه بنفس فلا بد فيه أولا من حبس ومن ربط بالحديد ومن كشف وتهديد . فإن ظهر أمر عمل عليه . وإلا نظر فى قربه أو بعده مما نسب إليه ، فإن قَرُبَ طوِّلَ فى اعتقاله ، وإن بعد عُجِّل بإرساله ، وكل أحد له حكم بحسب حاله . ولا بد للأمير الأعظم أن يجلس كل يوم للناس بحيث يصله النساء والأطفال ، ولا يكفيه ما نصبه من القضاة وغيرهم من العمال ، لأن شكوى الرعية قد تكون منهم ، وواجب عليه أن يزجرهم عنهم وإلا فهو كسلم الدار لأربابها ، أو ماسك قرون البقرة لحلابها .

وقد عزل الخلفاء رضى الله تعالى عنهم الصالحين بسبب الشكوى لما فيه من تأليف الرعية وقرب التقوى .

(ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب السابع

فى مجبى الأموال من وجوه الحلال

يجب على كل أمير أن لا يجبى الأموال إلا من حيث أباح الله له (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً).

الكرم روح السلطنة، وعدمه نفس الشيطنة، وأول الكرم وأساسه الإمساك عما فى أيدى الناس، والكف عن أموال الناس بقاء المملكة وجمالها، والطمع فى أموالهم خراب المملكة وزلزالها، فمن الأموال التى أحل الله للأمراء قبضها وصرفها زكاة العين والحرث والماشية وزكاة المعدن وزكاة الفطر وخمس الركاز والمعادن وخمس الغنيمة وأموال الجزية والصلح وما يؤخذ من تجار أهلها، وتركة لاوارث لها، ومال أفاء الله به من أموال الحرب بلا حرب، فاذا كان الأمير عادلا فى صرف مال الله وجب على كل من بيده شىء

فيه زكاة عين أو غيرها أن يدفعه له ليصرفه .

وزكاة العين موكولة لأمانة أربابها . فليس للأمير أن يهتك فى طلبها أستارهم ، ولا أن يفتش ديارهم ولا أن يحلف إلا أشرارهم . فمن ادعى عدم كمال نصابه أو حوله صُدِّق فى قوله : كمسافر زعم أن قبل قدومه أخذت منه أو أن عليه ديناً يسقط الزكاة عنه .

ومن الأموال التى حرم الله عزوجل على الأمراء وغيرهم كل ظلم ، ومن الظلم ما يأخذه الأمير على ولاية القضاة أو غيره ، وهو حرام بإجماع المسلمين ، وذريعة لإفساد الدين ، وفتح لأبواب الرشوة وقهر المساكين .

ومن الظلم أيضاً « الرشوة » وهى حرام بإجماع المسلمين ، فلا يجوز للسلطان ولا غيره من القضاة والعمال أن يأخذ من أحد الخصمين ولا من كليهما شيئاً ، ولا قبل الحكم ولا بعده ، ولا أن يقبل الهدية من الرعية فإنها باب كل بلية ، فإذا دخلت الهدية على ذى سلطان خرج عن العدل والإحسان ،

وكل ما يشتريه سلطان أو غيره ممن يتقى شره . فهو قطعة من نار وصاحبه بالخيار .

ومن الظلم أيضاً العقوبة بالمال كأخذ مال السارق والزانى وهى حرام على كل حال ، إلا إذا كانت جناية الجانى متعلقة بذلك المال ، كلبن خلط بماء . فالصدقة به حلال .

ومن الظلم أيضاً المكس وهو حرام بالإجماع ، ومن زعم حليته فقد جاء فى الخبر « لا يدخل الجنة مكاس » .

المكاسون إخوان الكلاب يلعنهم حتى الغراب ، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

ومن الظلم أيضاً أخذ العشر أو غيره من أرباب الحقوق أو التركات ، وهو حرام بإجماع المسلمين ، ونصوص الآيات . فطوبى لمن تاب إلى الله قبل الممات ، وويل لمن غرته شهواته حتى مات ، فإن وقع بالناس مصيبة تفتقر لمال ولا شىء فى بيت المال ، ولا يمكن دفع ضررها إلا من أموالهم وجبت الإعانة عليهم بحسب أحوالهم من غير أن يستمر ذلك عليهم ،

وذلك كسقوط حصن بمكان خوف لا كمصيبة نزلت بسلطان من قائم عليه لينزع عنه ما بيده .

فقد روى عن مالك رضى الله عنه أنه سئل عن الوالى إذا قام عليه قائم يطلب إزالة ما بيده هل يجب علينا أن ندفع عنه ؟ قال « أما مثل عمر بن عبد العزيز ، فنعم ، وأما غيره فلا ، ودعه وما يريد منه ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما » .

(ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية) .

الباب الثامن

فى مصارف أموال الله

يجب على كل من بيده شىء من مال الله ألا يصرفه إلا فى المصارف التى شرع الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون).

الكرم دوام الملك . والبخل والتبذير خرابه . فالكرم بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة لمستحقيه بقدر الطاقة . فمن خرج عن هذا الحد فقد تعدى وظلم ولا حظ له من الكرم. وهو إما بخيل أو مبذر فى أرزاق بيت المال . وكل منهما خراب للمملكة على كل حال : فان كان البخل أو التبذير من جبلة سلطان فعليه أن يستنيب فى عطايا مملكته من ثقات خاصة أهله . لأن كلا من البخل والتبذير لا يليق بالملوك ولا يقترن بالمملكة أصلا . فمال الله الذى جعله الله رزقاً لعباده قسمان : قسم لأصناف معينة وقسم فىء يصرفه الإمام فى

المصالح . فالأول زكاة العين والحرث والماشية وزكاة المعدن وزكاة الفطر . فصرف غير زكاة الفطر الى الأصناف الثمانية التى فى قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) ويجب صرفها فى محل الوجوب ناجزاً إن وجد به مستحق وإلا نقلت لأقرب مكان فيه مستحق، وإن كان فى محل وجوبها مستحق وفى غيره أحوج منه صرف فى محل وجوبها بعضها ، ونقل للأحوج بعضها بحسب الاجتهاد : وأجرة نقلها من الفيء لأمنها . ولا يجب تعميم الأصناف كلها فإن أخرجت لبعضها أجزأت إلا أن تعطى للعامل فقط فلا تجزىء . ويقدم الأهم فالأهم . والأحوج فالأحوج ، ويفضل بعضهم على بعض بقدر الحاجة .

ومصرف زكاة الفطر : الصنفان الأولان فقط . فتصرف فى محل وجوبها ولا يعطى حارسها منها . فإن تعذر صرفها

فيه فني أقرب مكان ممكن كالزكاة . والثاني وهو «الفيء» كخمس الركاز والمعادن وخمس الغنيمة وما يؤخذ من أهل الذمة وأهل الصلح ، وما يؤخذ من تجارهما وخراج الأرضين وتركة لا وارث لها . وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب بلا حرب . وحكم ذلك كله للامام يصرفه بالتقوى لا بالهوى على الأهم فالأهم من مصالح المسلمين وهو واحد منهم . فقد اجتمعت حكماء العرب والهند والروم وفارس على أن سخاء الملك على نفسه مع البخل على رعيته عيب وفساد لمملكته . وأحق الناس بالتوسعة عليه من مال الفيء حماة الدين من قضاة المسلمين والعلماء الأتقياء المرشدين وأهل بلد كل مال أحق به من غيرهم ، إلا أن تنزل بهم حاجة فينقل إليهم منها بعد إعطاء أهلها ما يغنيهم على وجه النظر . فإن كان غير أهل بلد المال أحوج من أهل بلده نقل لهم الأكثر بحسب النظر . وسيرة أئمة العدل في قسمة الفيء . أن يبدأ الامام بسد ما لا بد من سده من حصن وسلاح وغيره . ثم بأرزاق العلماء والقضاة والمؤذنين كل من بيده شيء من

مصالح المسلمين كالمقاتلين . ثم بالفقراء الأحوج فالأحوج حتى يعمهم بأجمعهم من ذكر وأنثى وصغير وكبير بحسب احتياجهم وأنواع حوائجهم كالطعام أو الثوب أو بناء البيت، ثم يعمم ما بقى جميع الناس بالسوية غنيهم وأغناهم . غريبهم ومولاهم . إلا أن يرى الامام حبسه للنوائب بنية صادقة ونظر صائب . فان اتسع الحال أبقي منه فى بيت المال فضلة لما يحدث من النوائب وبناء المساجد وفك الأسرى وقضاء الديون . ومؤونة تزويج العزاب . وإعانة الحجاج وغير ذلك من وجوه الاحتياج ، ويفضل آل النبى ﷺ فى قسم الأموال وجميع الأحوال . فقد كان عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه يخص أولاد فاطمة رضى الله عنها كل عام باثنى عشر ألف دينار سوى ما يعطى غيرهم من ذوى القربى

فهذه سنة صرف أموال الله عز وجل المسلمين . لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين . قطعوا العدل والإحسان . ووصلوا الظلم والبهتان . فقلت أرزاقهم وساءت أخلاقهم وجاءهم

الموج من كل مكان (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمى خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلاماً على الأنبياء والمرسلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

مختارات

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصى أبا موسى الأشعرى :

آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك . ولا ييأس ضعيف من عدلك . ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم . ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

اجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهى إليه . فاذا أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية . فالحق أنفى للشك .

* * *

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله :

« أما بعد : فلتجف يداك من دماء المسلمين . وبطنك من أموالهم . ولسانك من أعراضهم . فإذا فعلت ذلك فليس عليك سبيل . . »

قصيدة للعالم الكبير

الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعانى ، ينعى فيها الدين الإسلامى

سماعاً عباد الله أهل البصائر ... لقول له ينفى منام النواظر
تشق ثياب الصبر عند سماعه ... يصب من الأجفان دمع المحاجر
ولا تحسبوا هذا وفاء بحق من ... تقضى وأضحى فى مضيق المقابر
لقد قام ناعى الدين فيكم منادياً ... بأرفع صوت فى رءوس المنابر
وأسمع سكان البسيطة كلها ... فما مؤمن للسامعين بعاذر
أوقر على الأسماع أم فى أكنة ... قلوب البرايا أم عمى فى البصائر
أيدفن فيما بينكم شرع أحمد ... ويهدم من بنيانه كل عامر
ولم ير محزون عليه كأنما ... دفنتم عدواً فقده غير ضائر
ثكلتكموا أين التناصح للهدى ... وأين التسامى للعلا والمفاخر
أضعتم وصايا المصطفى وهجرتموا ... طريقته فى نهيه والأوامر
وجئتم بأمر منه يبكى ذوى التقى ... ويضحك منه كل رجس وخاسر
وتشمتت من أفعالكم كل أمة ... ويصبح مسروراً به كل كافر
فيا عصبة ضلت عن الحق والهدى ... ومالت إلى أفعال طاغ وفاجر
بأى ملوك الأرض كان اقتداؤكم ... فما لكموا فى فعلكم من مناظر
أنافستموا الحجاج فى قبح فعله ... ففعلكم فى الجور فعل الفاخر

يعلّمكم إبليس حين يراكموا ... يقول بكم والله قرت نواظرى
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم ... فلم تعملوا منه بنص وظاهر
خراجية صيرتم الأرض هذه ... وضمنتم العمال شر المعاشر
كذاك الرعايا فى البلاد تفرقت ... وفارقت الأوطان خوف العساكر
وقد رضيت بالعشر من عين مالها ... وتسعة أعشار تصير لعاشر
ولم تقنعوا حتى أخذتم جميع ما ... حوته وما قد أحرزت من ذخائر
إذا سئلت عن جوركم وفعالكم ... أجابت علينا بالدموع البوادر
فقل لقضاة السوء لا درّ درهم ... أما لكم فى نصحهم سهم قاصر
أما أخذ الميثاق ربى عليكم ... بأن تنصحوا للحق أهل المناكر
قنعتم بأخذ السحت جهراً وبالرشا ... ودافعتم عنهم بسيف المعاذر
وقلتم لوالى الأمر يأخذ مالهم ... إذا ما عليهم خاف سطوة قاهر
معاذير راجت عند إبليس لا سوى ... وما هى إلا ضحكة فى المساتر
وما خاف مولاهم عليهم وإنما ... غدا منفقا أموالهم فى العمائر
وهل جائر إلا الذى قد أمرتموا ... فما غيره فى ذا الورى بمحاذر
ويأخذ بالمنقول منهم عقارهم ... ويعرض عما قد تلى فى التكاثر
ويكنز باقيه لتكوى جبينه ... إلى كم ترون الجور إحدى المفاخر
ويا عصبة من قاسم هاشمية ... إلى كم ترون الجور إحدى المفاخر
ومن دون هذا أخرج الترك جدكم ... فلو عاش أصلاكم بحد البواتر

فأحللتموا ما حرم الله جهرة … وشر ذنوب الخلق ذنب المجاهر
وجوّزتموا فعل المكوس بأرضنا … وتوفيرها ظلما على كل تاجر
وقلتم نرى فيها المصالح للورى … وربكموا أدرى بما فى الضمائر
تساويتموا فى كل قبيح فعلتموا … أكابركم فى فعلهم كالأصاغر
وأحللتموا جمع الزكاة وأكلها … كإحلال أهل السبت صيد الجزائر
ورددتموا نص الكتاب بمنعكم … فقيراً وإعطاء الغنى المكاثر
فطعومكم عين الزكاة تجاربا … وملبوسكم من مكسكم فى البنادر
وأما الجراءات التى كل ليلة … تسمى سيارة وهى إحدى المفاخر
ففى الترد قد أنفقتموا وحشيشة … وخمر لخمار ولهو لسامر
بما قد رأينا فى حسين بن طالب … وتقطيعه ملقى بجنب المقابر
وبان لكم من غير شك غريمه … ولكن طرحتم فوقه ثوب ساتر
وحاميتم الجانى لأجل قرابة … وخشيتكم من حربكم فى الحواضر
أكابركم قد ميزوا لصلاحهم … وإغضائهم عن موجبات الأوامر
وأشنع خطب مايقول خطيبكم … من الكذب المنسوب فوق المنابر
منابر كانت للمواعظ والهدى … فما بالها عادت لسخرة ساخر
ملأتم بلاد الله جورا وجئتموا … بما سودت منه وجوه الدفاتر
ووليتموا أمر العباد شراركم … وخولتموا أعمالكم كل ماكر
وقد كنتم ترمون من كان قبلكم … بظلم وجور قد جرى فى العشائر

وقلتم نرى المهدى قد بان جوره لـكل سميع فى الأنام وناظر
صدقتم لقد كان الظـلوم وإنما بجوركم قد عاد أحسن شاكر
وكل فتى قد كان يشـكو فعاله وسيرته قد عاد أحمد شاكر
وما أخذ الأوقاف قط وما شكت مساجدنا فى عصره أخذ قادر
ولا ترك الشنجبى يأخـذ مالها ويا بئس مأمورا ويا خزى آمر
فبالأخذ كم أغلقت من مدارس وكم من سبيل قد غدا غير عامر
وكم فى زبيد أغلقت من مساجد وأغلق فيهـا جامع للأشاعر
وفى عافش كم قرية قد تعطلت مساجدها من كل تال وذاكر
ولو تشترى تلك المساجد باعها ببخس وما بالى بصفقة خاسر
ويا وزراء السوء ياشر فرقة وأخبث مأمور لنـاه وآمر
إلى أى حين فى الضلالة أنتم جهلتم بأن الله أقـدر قادر
فهلا بالحربى الشقى اعتبرتموا ففى فعـله للخلق أعظم زاجر
هو الرأس فى هاذى المظالم كلها وأول من شاد الضلال لآخر
ولـكنـكم جئتم بأضعاف ظلمه وزدتم على ما شاده من مناكر
وقلتم نرى الأحياء أموالهم لهم خذوها جهاراً يا ولاة البنادر
ولـكن دعوا أهل الخليفة كلهم وأعوانه من حاكم وموازر
ومن خفتم من شره وفساده كرومان وابن الحاج أهل العشائر
فما يفعل الإنسان مثل صنيعكم فلا تشمتوا من بعد هذا بكافر

وأفعالكم لو دمت عدا لحصرها لأفنيت فى الدنيا مداد المحابر
ويا علماء الدين مالى أراكم تغاضيتموا عن موجبات الأوامر
أما الأمر بالمعروف والنهى فرضكم فأعرضتم عن ذاك إعراض هاجر
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
إذا كان هذا فعل قاض وعالم وحال أمير مع وزير مظاهر
فموت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واش وغادر
ولم تنتهوا عن غيكم فترقبوا صواعق قهار وسطوة قادر
وما الله عما تعملون بغافل ولكنه يملى لطاغ وفاجر
وقد أرسل الآيات منه مخوفا ولكن غفلتم عن سماع الزواجر
رماكم بقحط ما سمعنا بمثله وحبس سحاب بالإغاثة ماطر
أجيبوا عباد الله صوت مناصح دعاكم الدين ماله من مناظر
وقوموا سراعا نحو نصرة دينكم إذا رمتموا فى الحشر غفران غافر
وحسن ختام النظم أزكى صلاتنا على المصطفى والآل خير المفاخر

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن عبد الله الثبيتي : مالقى من قومه من الأذى ومعارضة الحق ونصر الباطل :

يقول الذى يرجو من الله عفوه ويرجوه نصراً عاجلا غير آجل
لمن يتقى المولى ويرجو لقاءه وعما يقول الناس ليس بسائل
أقول بحمد الله قولا منقحاً ولو أن فهمى قاصر فى المسائل
عليه من النص الصريح شواهد إذا قلته يهوى له كل عاقل
وحالى ظلمت مرة بعد مرة وزاد غرامى من مديم الطوائل
وصالت بنو سعد على جميعة وما ناب عنها من جميع القبائل
كأنى عليهم قد جنيت جناية ويرمونى فى سدها بالقوائل
يريدون دحض الحق والحق ظاهر ولو ناقمونى واستعزوا بباطل
رجال على الظلم العظيم تناصروا وقالوا رزقنا باتخاذ الوسائل
ويدعون غير الله فى كل لحظة وسلطانهم قول الجدود الأوائل
فقلت ذروا الأقوال ليست بحجة إذا لم تكن مقرونة بالدلائل
نريد دليلا من كتاب وسنة ولا نرتضى من عندكم قول قائل
فكم قال فرعون وكم قال غيره وما أغنت الأقوال عن كل عادل
فقالوا ذروا المسكين هذا تزندق وتبديل دين للجدود بهازل
ولكنكم شدوا الوثاق وضيقوا عليه بفعل الشر رحب المنازل
فالقوا على ما استطاعوا من الأذى وما الله عما يفعلون بغافل

هو الله حسبي ثم بالله ضوائقي ولست على من صال منهم بصائل
أسر بما بي والعيون عوابر بدمع على الخدين ثج كوابل
وفي مدّعي الإسلام قلبي مؤمل على الجهل منهم ليس عنهم بذاهل
فلما رآهم كلهم قد تفرقوا قلوبا على ما أظهروا من هوائل
تواروا وإني حسرة متأسف عليهم وجاءت رعدة في المفاصل
فما بين دهريّ وما بين مشرك ولم يعرف الإسلام غير القلائل
ولو بذلوا الأموال نفلا لربنا إذا الفرض ضاع لا غنى بالنوافل
تركنا الكتاب والحديث وراءنا لأجل مجلات أتت بالتهازل
لقد حصل المقصود منا عدونا ومقصودنا منهم فليس بحاصل
مشينا جميعا في فساد صلاحنا ورمنا مراما خاسراً غير طائل
وتستعجب الأعداء منا لأننا كمثل القطا تصطادنا بالحبائل
أحاطت بنا الأعداء من كل جانب كأنا طعام قدموه لآكل
وصاروا بحاراً يغرق الفلك موجها ونحن لهم صرنا كمثل الجداول
وتخترع الأعداء للحرب قوة وقد هددت من لم يطع بالقنابل
وليس لها منا زعيم مصادم أتت تتمطى ما لها من مقابل
ونحن هبطنا للتراب تواضعاً نريد نجاحاً من خفيف القساطل
فتباً لحب مشرك خان به وداع سواه عند صرع الأثاكل
وتباً لعباد الدنانير وكلهم وتباً لكل الجاهل المتعاقل

وتبـاً لقوم عز فيهم سفيههم ومستسلم للخصم من دون حائل
فمن عظم الخسران عز عدوهم وصاروا كمثل القاصرات الأرامل
ذهبنا جميعاً للعـــــدو غنيمة وكل شجاع صفدوا بالسلاسل
نُصبنا وقد كنا على الفعل رفعنا وصار الفتى الفعال ليس بفاعل
حلقنا لحـانا كالمجوس تشبهاً ونستحسن من بعد لبس الخلاخل
لبسنا الحرير كالعروس تجملا لترغبنا عين القبيل المقابل
وضاقت علينا الأرض من بعد رحبها وقد كدرت طراً جميع المناهل
فياليت للاسلام فى الحال شوكة ذووا نجدة يخشاهموا كل جاهل
رجال يرون الموت مجداً وجنة عن الذل من فعل الصقور الجلاجل
تذود عن الدين القويم بسيفها ومن أرضها تنفى جميع الأراذل
فيا من له فى مالك الملك رغبة تجنب نواهيه تـكن خير عامل
ولا تـكسلن فى رضا الله يافتى فما فاز من رام العلا بالتكاسل
ومن لم يكن حزماً لـكل أموره غزاه العدو من طريق التكاسل
وهذا زمان ذل فيــــه سميدع وقد عز فيه كل فسل وخامل
ومن كان ذا عِيٍّ يقال فصيحنا وكل فصيـح لقبوه بباقل
وصل صلاة منك لا منتهى لها على من سما قدراً على كل فاضل
محمـد المبعوث للنـاس رحمـة وآل وأصحاب حصاب المناضل

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

ورد فى ١٣ شهر ١٢ سنة ١٣٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة للأخ المحترم عبد الله بن عبد الله الثبيتي يشكو فيها غربة الإسلام وماوقع فيه كثير من الناس من دعاء القبور والأموات .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فإنه لما كان عام الخمس والستين [1] أرسل الشيخ عبد الله بن حسن رحمة الله [2] هيئة إلى قرى فى أقصى الحجاز وموجب ذلك أنه ذكر للشيخ أصنام تعبد من دون الله ، أشجار وقبور ، فذهبوا بأمر الشيخ إلى المذكور فلم يجدوا شيئاً لأنهم لا يعرفون القرى المذكورة ، فرجعوا إلى الشيخ قالوا لم نجد شيئاً فأرسل معهم رجل يسمى عبد الله بن عبد الله الثبيتي ودلهم على الأصنام فهدموها ورجعوا إلى مكة ، ثم أن الرجل المذكور عبد الله أنشأ منظومة نبطية فيما جرى فى هذه القضية ، وحث الإمام عبد العزيز رحمه الله على إزالة تلك المعابد والمزارات التى أفسدت دين الإسلام (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فقال رحمه الله :

---

(١) بعد الألف والثلاثمائة هجرية .

(٢) سماحة رئيس القضاة فى الحجاز .

يا ألله إنى طالب منك السماح بعد ما غزير الشعر منى فاح
والرسول يقول فى الطيب مباح وانته محـلل لجميع الطيبات
والرسول يقول جاهد باللسـان عند غربة الدين فى تال الزمان
والإمارة تنتظرها بالعيان والبدع والشرك فى كل الجهات
سنت البدعة وبدّعت السنن وماحصل فى الشام حاصل فى اليمن
وحاصل فى الحال عبّادة وثن ناس يدعون القبور الخامدات
وكل قطب حطوا اقبره قبب قلت ياذا الناس ما هذا السبب
قالوا إنا نستغيثه بالـكرب وكل يوم جوله برايه وشاة
والقطب يقول نحن قادرين نرحم الديرة إذا كانت سنين
وإن غضبنا نهلك الناس أجمعين وإن رضينا نجعل ذكور وبنات
قلت ياذا الناس ما هـذا العما ربنا رحمان رب الأرض والسما
خالق الإيوان وإن شاء أيتما متـكفل بجميع الـكائنات
قالوا اترك عنك فيد مسيلمة لا نسوى فيك والله هيلمة
قلت مالأبصاركم متعامية عن حجج خير الأنام البينات
قالوا انته ياهبيل منين جيت انته عن سر المشايخ مادريت
لو يجيك السر من حينك غشيت انته ما حقك لا تؤد الزكاة
قلت خالقنا هو المحيي المميت كـفو يكفينى إذا أنى بليت
المبصّر لى إذا أنى عميت مطلع فى البينة والخافيات

مستوى ما له شبيه ولا مثيل جاعل إبراهيم من رسله خليل
مرسل محمد علينا بالدليل وقد بلغنا بحججه البينات
والله إنه باطل ما تفعلون وإنكم فى قولكم لكاذبون
وإنكم لو ذرة ماتملكون بل طواغيت وكفار عصاة
يا محب الحق أطع محمداً الذى أرسل إلينا بالهدى
واجتنب باقى الخليقة ما عدا أربعة لاجت عليك المشكلات
وهم أبو بكر وعلى مع عمر معهم عثمان فى نص الخبر
والنجوم الزاهرة بعد القمر والرسول أوصى بهم قبل الممات
يا عظيم الشأن تغفر ذنبنا ولدليل الحق يارب أهدنا
وأسالك يارب تهدى لنا الإمام يجعل معنا هيئات
يرسل لنا فى الحجاز معلمين حيث أهله تراهم جاهلين
وأمراهم للمساجد هاجرين لاقرآن ولا حديث ولا صلاة
وعم هذا الشرك فى الديره وطم والعرب صاروا أشد من العجم
يالامام أحذر من العدل الحكم لا يغرك من يحط مصنفات
لا يغرونك محلقة الدقون لو تراهم فى المجالس يزعمون
لو نصحت لهم فلا لك ينصحون جمع وقلوبهم متفرقات
إن رأوا منكر فلاهم منكرون قومه فى الدين عنها يعدلون
غير فى هذه المسائل يجمعون مثل قول المصطفى منما وهات

عاشق الدنيا يفوت الآخرة فوق رأسه تستدير الدائرة
حين يوقف والتجارة خاسرة ياخسارة من وقع فى المهلكات
ما يزحزح عن وقوع الواقعة وأرسل الخالق له زبانية
يسحبونه سحباً لتلك الهاوية وكلوا به ماله منهم نجات
زينة الدنيا تواليها الفنا من كسبها ما يفيد إلا العنا
والعمر لابد له من منتهى فازوا أهل الأعمال الصالحات
لايغرونك سخيفين العقول ما بعد حال الطلوع إلا النزول
والسعيد اللى مسك شرع الرسول الذى يرد عنه المبطلات
لاتقدم فى الأمور إلا ذهين من خيار الذى بهم تقوى ودين
لاتقدم فى الأمور مغفلين ثم يحصل فى الأمور مداهنات
ما يشوفك من حصل له مظلمة غير للشرطة تبع للمحكمة
والغنى يبرق لكم بكالمات والضعيف تجى عليه معذلات
من مشى بالحق مذموم حقير والغنى ما عاد يحسن الفقير
والكبر لله سبحانه هو الكبير لا لمخلوق تفارقه الحياة
كل راعٍ يسأل عما رعى فى نهار فيه الأمة تجمعا
والحكم عدل لمن جا وادعى عالم بالبينة والخافيات
والرسول أوصى على الدين الصحيح فى كتاب الله والسنة صريح
والنصيحة مقتضى القول الصحيح أسأل الله الهداية والثبات
ثم أختم بالصلاة والسلام عدد ما صلى المصلى فى المقام
كلكم صلوا على خير الأنام الرسول اللى بعث بالمعجزات

صلى الله على محمد وآله وصحبه والتابعين أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب

قال الشيخ عيسى بن محمد الملاحى رحمه الله :

القول فى آداب الصحبة والتأدب مع الخالق عز وجل والخلق . اعلم أن صاحبك الذى لا يفارقك فى حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل حياتك وموتك هو ربك ومولاك ، وسيدك وخالقك مهما ذكرته فهو جليسك قال تعالى : « أنا جليس من ذكرنى » ومهما انكسر قلبك حزناً على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك إذ قال الله تعالى : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى » فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحباً ، وتركت الناس جانباً فإن لم تقدر على ذلك فى جميع أوقاتك ، فإياك أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك وتتلذذ بمناجاته ، وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى .

فآدابها إطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الأمر واجتناب النهى وقلة الاعتراض على القدر، ودوام الذكر وملازمة الفكر وإيثار الحق على الباطل، واليأس من الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت الحياء، والسكون عند الكسب ثقة بالضمان والتوكل على الله ومعرفته بحسب الاختيار، وهذا ينبغى أن يكون شعارك فى جميع ليلك ونهارك، فإنه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك بعض أوقاتك.

وإن كنت عالماً فآداب العالم تسعة عشر، سعة الاحتمال، ولزوم الحلم، والجلوس بالهيبة على سمة الوقار مع إطراق الرأس وترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجراً لهم عن الظلم، وإيثار التواضع فى المحافل والمجالس وترك الهزل والدعابة والرفق بالمتعلم والتثبت بالمتعجرف وإصلاح البليد بحسن الإيثار له وترك المتكبر، وترك الأنفة من قول لا أدرى. وصدق الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة له والانقياد للحق بالرجوع

إليه عند الجفوة ، ومنع المتعلم من كل علم يضره، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى ، وصد المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ، وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ، ومؤاخذته نفسه أولا بالتقوى ليقتدى المتعلم أولا بأفعاله ، ويستفيد ثانياً بأقواله .

وإن كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم أن يبدأ بالتحية والسلام ، وأن يقل بين يديه الكلام ولا يتكلم مالم يسأله أستاذه أولا ، ولا يقول فى معارضته قال فلان بخلاف ما قلت. ولا يشير عليه بخلاف رأيه أنه أعلم بالصواب من أستاذه. ولا يسار جليسه في مجلسه ولا يمدّ رجليه فى مجلسه ، ولا يلتفت إلى الجوانب بل يجلس مطرقا متأدباً كأنه فى الصلاة ولا يكثر السؤال عليه عن ملالة ، وإذا قام قام له ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله، ولا يسىء الظن به فى أفعاله . وليتذكر قول موسى عند ذلك للخضر عليهما السلام (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا) وكونه مخطئاً

فى إنكاره اعتماداً على الظاهر .

وإن كان لك والدان فآداب الولد مع الوالدين أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل أمرهما . وأن لا يمشى أمامهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ويلبى دعوتهما ويحرص على طلب رضاهما ويخفض لهما جناح الذل ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا القيام بأمرهما ، ولا ينظر إليهما شزرا ولا يقطب وجهه فى وجوههما ولا يسافر إلا بإذنهما .

واعلم أن الناس بعد هؤلاء فى حقك ثلاثة أقسام : إما أصدقاء وأخوة وإما معاريض وإما مجاهيل ، فإن بليت بالعوام المجهولين فآداب مجالسة العامة ترك الخوض معهم فى حديثهم ، وقلة الإصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم ، والاحتراز عن كثرة لقائهم ، والحاجة إليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عن رجاء القبول منهم .

وأما الأخوة والأصدقاء فعليك فيهم صفتان : إحداهما أن تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة فلا تؤاخ إلا من يصلح

للاخوة قال رسول الله ﷺ «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل ، فإذا طلبت رفيقا فليكن شريكاً لك فى التعليم وصاحبا لك فى دينك ودنياك» فراع فيه خمس خصال : الأولى العقل فلا خير فى صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق:

قال على رضى الله عنه تعالى:

لاتصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردي حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذ هو ماشاه
وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب ، دليل حين يلقاه

الثانية : السيء الخلق ، فلا تصاحب من ساء خلقه وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة ، وقد جمعه علقمة

العطاردى فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال : يابنى إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإذا صحبته زانك وإذا وقعت بك مؤنة ما نكر ، أصحب من إذا مد يده بخير مدها ، وإذا رأى منك حسنة عدها ، وإذا رأى منك سيئة سدها . أصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإذا حاولت أمراً أمدك ، وإن تنازعتما فى شىء آثرك ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

إن أخاك الصدق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومنه إذا ريبُ الزمان صدعك
شتت منه شمله ليجمعك

الثالثة : الصلاح فلا تصحب فاسق أصر على معصية كبيرة ، لأن من يخاف الله لا يصر على معصية ومن لا يخاف الله تعالى لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الأعراض والأحوال.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) فاحذر صحبة الفاسق ، فان مشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهة المعصية ويهون عليك أمرها، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لإلفهم لها ولو رأوا خاتماً من ذهب ملبوسا فى يد فقيه اشتد إنكارهم عليه، والغيبة أشد من ذلك .

الرابعة : أن لا يكون حريصاً على الدنيا، فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل، لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرقُ منه الطبع من حيث لا يدرى الإنسان، فمخالطة الحريص تزيد فى حرصك ومخالطة الزاهد تزيد فى زهدك.

الخامسة : الصدق ، فلا تصحب كذابا فإنك منه على غرور ، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد القريب. ولعلك لا تدرى إجماع هذه الخصال فى سكان المدارس والمساجد،

فعليك بأحد أمرين: إما العزلة وإما الانفراد، ففيهما سلامتك،
وإما أن تكون مخالطتك مع شريك بقدر خصاله .

ولتعلم أن الأخوة على ثلاثة : أخ لآخرتك ، فلا تراع
فيه إلا الدين ، وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن ،
وأخ لتأنس به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وخبثه .

والناس فى حق الصحبة ثلاثة : أحدهم مثله مثل القدر
لا يستغنى عنه . والآخر مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون
وقت ، والآخر مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد
يبتلى به ، وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع، فتجب مداراته إلى
وقت الخلاص من شره ، وفى مشاهدته فائدة عظيمة ، إذا
وفقت لها وهى أن تشاهد من خبثه وأحواله وصفاته ما تستقبحه
فتجتنبه ، فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن .
وقيل لعلى عليه السلام من أدبك ؟ قال: ما أدبنى أحد . رأيت
جهل الجاهل فاجتنبته ، ولقد صدق رضى الله عنه . فلو اجتنب

الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدب .

الوظيفة الثانية : مراعاة حقوق الصحبة ، مهما كان العقد والشركه، وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق توجبها عقد الصحبة فللقيام بها اداب .

وقد قال ﷺ «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » ودخل ﷺ أجمة فاجتني منها سوا كين أحدهما معوج والآخر مستقيم ، وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك المعوج لنفسه . فقال يارسول الله أنت أحق بالمستقيم مني فقال ﷺ «مامن صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته هل أدى فيها حق الله أو أضاعه»

وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله تعالى أرفقهما بصاحبه »

فآداب الصحبة ثلاث: إيثار بالمال فإن لم يكن فقليل من

الفضل من المال عند الحاجة والإعانة بالنفس من الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحراج إلى الالتماس وكتمان السر، وستر العيوب عن تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث وترك المماراة له، ويدعوه بأحب الأسماء إليه وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه، وأن يشكره على صنائعه في حقه، وأن يذبّ عنه في غيبته إذا تعرض لعرضه كما يذبّ عن نفسه، وأن ينصحه باللطف والتعريض إن احتاج إليه، وأن يعفو عن زلته وهفوته، ولا يعيب عليه وأن يدعو له في صلاته، وفي خلوته، وفي حياته، وبعد مماته وأن يحسن له الوفاء معه ومع أهله وأقاربه بعد موته، وأن يؤثر التخفيف عنه، فلا يكلفه شيئاً من حاجاته، وأن يظهر له جميع ما يباح له من مسارة، فيروّح سره عن مهماته والحزن على ما ناله من مكارهه، وأن يضمر له مثل ما يظهر، فيكون صادقا في حبه سراً وعلانية، وأن يبدأ بالسلام عند إقباله وأن يوسع له

فى المجلس ويخرج له من مكانه، وأن يشيعه عند قيامه، وينصت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه، ويترك المداخلة فى كلامه. وعلى الجملة فيعامله بمثل ما يحب أن يعامل به، فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه فأخوته نفاق، وهى عليه فى الدنيا والآخرة وبال. فهذا أدبك فى حق العوام المجهولين، وفى حق الأصدقاء والمؤاخين.

وأما القسم الثالث: وهم المعارف، فاحذر منهم فإنك لن ترى الشر إلا ممن تعرف، وأما الصديق فيعينك، وأما المجهول فلا يتعرض لك.

وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم، فأقلل من المعارف ما قدرت، فإذا ابتليت بهم فى مدرسة أو جامعة أو مسجد أو سوق أو بلد فيجب أن لا تستصغر منهم أحداً فإنك لا تدرى لعله خير منك، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم فى حال دنياهم فتهلك لأن الدنيا

صغيرة عند الله تعالى صغير من فيها، ومهما عظم أهل الدنيا فى قلبك فقد قصرت فى حق الله تعالى ، وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فلن يفعل ذلك أحد إلا صغر فى أعينهم ثم حرم ما عندهم فإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة ، فإنك لا تطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك فيهم ويطول تعبك وعناؤك ، ولا تسكن إليهم فى حال إكرامهم ، إياك وثناءهم عليك فى وجهك وإظهارهم المودة لك . فإنك إذا طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة واحداً .

ولا تطمع أن يكونوا لك فى السر والعلن سواء ، ولا تتعجب أن ثلبوك فى الغيبة ولا تغضب منهم ، فإنك إذا أنصفت وجدت فى نفسك مثل ذلك حتى فى أصدقائك وأقاربك ووالديك فإنك تذكرهم فى الغيبة بما لم تشافههم به وأقطع طمعك من مالهم وجاههم ومعونتهم ، فإن الطامع الأكثر خايب فى المآل وهو لامحالة فى الحال .

وإذا سألت واحداً حاجة فقضاها ، فاشكر الله تعالى ثم

اشكره ، وإذا قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عداوة ، وكن كالمؤمن فى طلب المعاذير ولا تكن كالمنافق بطلب العيوب ، فقد قصر لعذر فى ذلك له لم اطلع عليه ولا تطعن أحداً منهم مالم تتوسم فيه مخايل القبول وإلا لم يسمع منك وصار خصما عليك فإذا أخطؤا فى مسألة فكانوا يأنفون منه التعلم من كل واحد فإنهم لا يستفيدون منك علماً ويصبحون لك أعداء إلا إذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها على جهل فاذكر الحق بلطف من غيره .

فإذا رأيت منهم كرامة وخيرا ، فاشكر الله تعالى الذى جاء بك إليهم وإن رأيت منهم سوء فعلهم إلى الله تعالى ، واستعذ بالله من شرهم ولا تقل لهم لا تعرفون حقى وأنا فلان ، وأنا الفاضل فى العلوم ، فإن ذلك كلام الحمقى ، وأشد الناس حماقة من يزكى نفسه ويثنى عليها ، واعلم أن الله تعالى لم يسلطهم عليك إلا لذنب سبق منك ، فاستغفر الله واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى ، وكن فيما بينك وبينهم أصم على باطلهم سلوقا بمحاسنهم صموتا عن مساويهم .

واحذر مخالطة متفقهة الزمان ، لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال ، فاحذر منهم فإنهم يتربصون بك لحسدهم ريب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون، ويحصون عليك عثراتهم تمكن فى عثراتهم حتى يهجوك بها فى غضبهم ومناظراتهم لايقبلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون لك عورة يحاسبون على النقير والقطمير ، ويحسدون على القليل والكثير ، ويعرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغة والبهتان ، إن رضوا فظاهرهم الملق ، وإن سخطوا فباطنهم الحنق . ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب هكذا .

هذا ما قطعت به المشاهدة فى أكثرهم إلا من عصم الله تعالى، فصحبتهم خسران لنا ومعاشرتهم خذلان ،هذا حال من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهر بالعداوة ولذلك قيل:

فاحذر من عدوك مرة

واحذر من صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق عدواً فكان أعرف بالمضرة

وكما قيل :

عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال :

هلال بن العلا الرقى:

لما عفوت لم أحقد على أحد أرحت نفسى من هم العدوات
إنى أحيي عدوى عند رؤيته لأقطع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للانسان أبغضه كأنه قد ملأ قلبى مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه فكيف أسلم من أهل المودات
والناس داء دواء الناس تركهم وفى الجفا لهم قطع الإخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم وكن حريصاً على كسب التقيات

تخالف الناس واصبر إن بليت بهم　　أصم أبكم أعمى ذا تقيات

وكن كما قال بعض الحكماء : الق صديقك وعدوك بوجه الرضا فى غير مذلة لهما ولا هيبة منهما ، وتوقر فى غير كبر وتواضع من غير مذلة، وكن فى جميع أمورك أوسطها وكل طرفى قصد الأمور ذميم كما قيل :

عليك بأوساط الأمور فإنها　　طريق نهج الصراط قويم
ولا تكن فى فهم الأمور مفرطا　　كلا طرفى قصد الأمور ذميم

ولا تنظر فى عطفيك . ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفر وتحفظ عن تشبيك أصابعك، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وتخلل أسنانك. وإدخال أصابعك فى أنفك ، وكثرة بصاقك وتنخمك وتمخطك ، وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة الضحك ، والتمطى والتثاؤب فى وجوه الناس فى الصلاة وغيرها .

وليكن مجلسك هادئاً . وحديثك منتظما مرتباً ، واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط.

ولا تسأله إعادته فيه. واسكت عن الضحك عند الحكايات. ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنعك وساير أحوالك . ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين . ولا تتبذل تبذل العبد. وتوق كثرة الكحل والإسراف بالدهن. ولا تلح فى الحاجات . ولا تشجع أحدا على الظلم . ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك . فإنهم إن رأوا قليلا هنت عليهم، وإن رأوا كثيراً لم تبلغ قط رضاهم وأخفهم من غير عنف . ولن لهم من غير ضعف ولا تمازح عبدك وأمتك فيسقط وقارك من قلوبهم . وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتك فى حجتك. ولا تكثر الإشارة باليد ، ولا تكثر الالتفات من ورائك. ولا تجث على ركبتيك، وإذا ذهب غيظك فتكلم. وإذا قربك السلطان، فكن منه على مثل حد السنان . وإياك وصديق العافية . فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

كشف الشبهة والحجاب

« قال الشيخ عيسى بن محمد الملاحى »

﴿عمن توقف فى حل أموال المحاربين من المرتدين والأعراب﴾

الحمد لله الذى انفرد بالوحدانية والقدم . وخلق الإنسان بقدرته التامة من العدم ، وخص من شاء بأنواع العلوم النافعة والحكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الملك الأعظم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله برسالته إلى العرب والعجم . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا سنته وبلغوها فى سائر الأمم . وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد، فإنه قد وقع لكثير من الناس التوقف عن الجهاد مع أئمة المسلمين وإعانتهم على من بغى عليهم وعن استحلال ما غنموه من المشركين والمرتدين، معللا بأنهم ظلمة للناس فسقة بأنفسهم وأن قتالهم لأجل الدنيا لا لتكون كلمة الله هي العليا

ودينه هو الظاهر، قلت : وهذا تعليل باطل. وليس الأمر كما زعموا بل الجهاد باق إلى يوم القيامة مع كل بر وفاجر، وإعانتهم وطاعتهم واجبة على كل مكلف على حسب قدرته مالم يأمروا بمعصية فإن أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة وما غنموه من من المشركين والمرتدين فهو حلال للمسلمين . وسنذكر ذلك مفصلا إن شاء الله ونبين من يحل دمه وماله ممن لا يحل . ومن يجب قتاله ممن لا يجب. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ فصل فى بيان ما يجب ويحرم من طاعة أولى الأمر ﴾

قال تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » الآية .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : واختلف أهل التأويل فى أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم فى هذه الآية ، فقال بعضهم هم الأمراء .

وهذا مروى عن أبى هريرة وابن عباس وميمون بن مهران . وقال ابن زيد عن أبيه : هم السلاطين، وقال آخرون : هم العلماء

والفقهاء . وهذا مروى عن مجاهد وابن أبى نجيح . إلا أنه قال: والعقل بدل العلم وهو مروى أيضا عن ابن عباس وعطاء ابن السائب والحسن وقيل هم أصحاب محمد ﷺ وقيل : هم أبو بكر وعمر .قال ابن جرير: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار بذلك عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأمراء والولاة فيما كان فيه طاعة لله وللمسلمين مصلحة لحديث أبى هريرة أن النبي ﷺ قال «سيلى عليكم بعدى ولاة فيليكم البر ببره والفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم وأطيعوا فيما وافق الحق، وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلهم ولكم وإن أساؤا فلكم وعليهم » .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية . فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

قال رحمه الله: فإذا كان معلوماً أنه لا طاعة واجبة لأحد لغير الله ورسوله، أو إمام عادل وكان الله قد أمر بقوله: « أطيعوا

الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ».

بطاعة من أمرنا : كان معلوماً أن الذين أمر بطاعتهم تعالى ذكره من ذوى أمرنا هم الأئمة ، ومن ولوه المسلمون دون غيرهم من الناس ، وأن فرض القبول من كل أمير أن يترك معصية الله ويدعو إلى طاعته أنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر ونهى فيما لم تقم به حجة إلا للأئمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيتهم ، مما هو مصلحة لعامة الرعية فإن على من أمروه بذلك طاعتهم وكذلك فى كل مالم يكن لله معصية ، وإذا كان ذلك كذلك كان معلوما صحة ما اخترناه من التأويل دون غيره . انتهى كلام ابن جرير ، رحمه الله تعالى

وقال البخارى رحمه الله تعالى (باب السمعة والطاعة) : للامام مالم يأمر بمعصيته، وساق بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « السمع والطاعة حق مالم يأمروا بمعصية فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة ».

وقال المجد رحمه الله تعالى : (باب الصبر) على جور

الأئمة وترك قتالهم. وساق في الباب أحاديث، منها حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية ».

وعن عرفجة الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » رواهما أحمد ومسلم.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم فيه من الله برهان» متفق عليه.

قال في شرح مسلم : « قوله إلا أن تروا كفراً بواحاً » وفي الحديث دليل على أنها لا تجوز المنابذة إلا عند ظهور الكفر البواح.

قال النووي : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاة الأمور

فى ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً تعلمونه من قواعد الإسلام. فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم، وقولوا بالحق حيثما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام، باتفاق المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين. وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته. انتهى كلام النووى رحمه الله.

وقال فى الفتح وقال غيره: إذا كانت المنازعة فى الولاية فلايقدح أحد فى الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل راية المعصية. هذا إذا ما كانت المنازعة فيما عدا الولاية فإذا لم يقدح فى الولاية نازعه فى المعصية، بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق بغير عنف ومحل ذلك إذا كان قادراً. انتهى.

ونقل ابن التين الداودى: قال الذى عليه العلماء فى أمراء الجور إنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم لايجوز عقد الولاية لفاسق، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليهم.

قال فى الفتح: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان

المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه ، لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهما ، ولم يستثنوا ذلك إلا إذا واقع السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته فى ذلك. بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما فى الحديث . انتهى .

قال النووى : أجمع أهل السنة على أنه لا ينعزل السلطان بالفسق،قال عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. قال وكذلك لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها. قال وكذلك عند جمهورهم البدعة . وقال بعض البصريين : تنعقد للمبتدع وتستدام لأنه متأول .

قال عياض : فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ، ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ، ولا يجب فى المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحققوا العجز لم يجب

القيام على المبتدع ، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه . انتهى ملخصاً من شرح مسلم .

قلت: وتبين بمجموع هذه الأحاديث والآثار أن طاعة ولاة الأمر في المسلمين واجبة ما لم يأمروا بالمعصية فإنه لا ولاية لكافر على مسلم ، وأنه متى استولى عليه الكافر ولم يقدر على إزالته ولا على الامتناع منه، فالهجرة واجبة عليه إلى أهل الإسلام وولايتهم ، والله المستعان، وصلى الله على محمد.

﴿ فائدة ﴾

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة، والغنى عقوبة، والعقل هداية من الله، والجهل ضلالة، والظلم ندامة ، والطاعة قرة عين . والبكاء من خشية الله نجاة من النار ، والضحك هلاك البدن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له». رواه أبو بكر البيهقى الشافعى فى شعب الإيمان .

﴿ فائدة ﴾

قال أبو الفرج الرازى : قال أحمد بن حنبل : إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أصحاب البدع . فايأس منه إن الشاب مع أول نشأته . انتهى .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المد والجزر فى تاريخ الإسلام

للعلامة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد . فقد أصيب العالم الإسلامى فى هذه السنين

نكبات أفزعت المسلمين وأيقظت مشاعرهم ، لقد نكب المسلمون فى الهند نكبة عظيمة فقد قتل منهم سنة ١٩٤٧ م عام التقسيم أكثر من مليون نفس ، وذبحوا مثل الضأن والغنم وحصدوا كالزرع ، وهم الذين فتح آباؤهم هذه البلاد فى القرن الخامس وهم حفنة من الناس يأتون من بلاد بعيدة فيوغلون فى الهند غزواً وفتحاً ويثخنونها قتلا وجراحاً ، ويؤسسون دولة عظيمة دامت نحو ثمانية قرون ، ونكب العالم العربى فى فلسطين نكبة عظيمة فقد اجتمعت سبع دول عربية بجنودها وأسلحتها لتكافح الصهيونية وتدافع عن البلاد المقدسة وعن قبلتها الأولى فلم تغن شيئاً ، وقامت دولة إسرائيل على رغم الدول العربية ومصالحها وإبائها ، وجثمت على صدرها واستولت على أخصب رقعة وأجملها وأوسعها فى فلسطين العربية ، وعلى طرف الثمام من مركز الإسلام ، والذين أسسوا الدولة الإسلامية الكبرى فى القرن الأول وحاربوا الإمبراطورية الرومية ،

والامبراطورية الفارسية فى وقت واحد وهزموهما شر هزيمة، وذابت وتحللت أمامهم أعظم قوة فى العالم، كانوا أقل عدداً من نفوس بلد صغير من بلاد الدول العربية اليوم .

هنا وقف الناس يتساءلون وحق لهم أن يتساءلوا ! لماذا هذا الفرق الهائل بين الجيل الجديد والجيل القديم ، ولماذا كان ينتصر العدد القليل وينهزم العدد الكثير، ولماذا هذا الجزر العظيم بعد ذلك المد العظيم ؟ وما هو منبع القوة وسر الانتصار فى التاريخ ، وإذا استعرنا التعبير العصرى فما هو الزر النفسى الذى يرسل التيار الكهربائى فى حياة المسلمين ويضىء العالم ، وما هو مفتاح النور والقوة الذى ضيعه المسلمون منذ قرون ؟

أهمنى هذا السؤال أيضاً كمسلم له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وأردت أن أكون جاداً مخلصاً فى هذا السؤال فلا أخدع ولا أنخدع ، وبحثت عن خبير ثقة شاهد الجيل الأقدم

والرعيل الأول من المسلمين ، وشاهد الجيل الجديد وساير الركب الإسلامي في سفره الطويل ، فعرف مقدمه ومؤخره وأوله وآخره ، هنالك رجعت إلي التاريخ فهو الطويل العمر الذى عاصر الطبقة الأولى للمسلمين ، والطبقة الأخيرة ، وهو الشاهد العدل الذى لا يكذب ولا يشهد بالزور ، وقلت له : حدثني بالله أيها التاريخ الأمين ، كيف وجدت هؤلاء الذين خرجوا من جزيرة العرب في ثياب مرقعة ونعال مخصوفة وعدد ضئيل فدكوا كل دولة ، وكسروا كل شوكة ، وهزموا كل جند وأسسوا دولة من أعظم دول العالم؟ وكيف وجدت الذين ورثوا هذه الدولة العظيمة والمجد العظيم وضيعوه ولم يستطيعوا أن يحافظوا على تراثهم فضلا عن أن يضيفوا إليه ، وماذا وجدت من الفرق بين هؤلاء وأولئك مع كل شبه في الأجسام والإنسانية والأسماء والأنساب وكثير من المظاهر والأشكال ؟

وحدثني التاريخ في شرح وتفصيل ، وصور لى طرق

هذه الأمة ، ووضع يدى على الزر ، فسجلت ما قال التاريخ ودوَّنته فى مقالة ، وإلى الأمم الإسلامية والشعوب العربية أقدم هذه العصارة التاريخية ، وأعرض هذه المرآة الصادقة لترى فيها وجهها ، وتقارن بينها وبين المسلمين الأعزة الفاتحين ، وتهتدى إلى منبع القوة ومصدر الحياة ومفتاح النور والشرف إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المد والجزر فى تاريخ الإسلام)

كان العرب قبل الإسلام أمة كانت تكون خاملة منعزلة عن العالم ، فقد فصلتها عن العالم المتمدن المعمور البحار من ثلاثة جوانب ، وصحراء من جانب ، وكانت من الانحطاط والانقسام والضعة والخمول بمكان لاتطمح فيه حيناً من الدهر إلى غزو البلاد ، ولا تحلم بالانتصار على الدول المجاورة لها فى المنام ، ولا تحدّث به نفسها يوماً من الأيام .

هذا ودولتا فارس والروم يومئذ سيدتا العالم ، وزعيمتا الشرق والغرب ، وقد أحاطت ممتلكاتهما بشبه جزيرة العرب إحاطة السوار بالمعصم . وإنما زهد الفرس والرومان فى فتح هذه الجزيرة وعورتها ، وقلة خيراتها ومواردها ، وما يكلفهم ذلك من رجال وأموال ، هم فى غنى عن إنفاقها فى هذه الصحراء المجدبة ، وفى هذه الأمة الفقيرة ، وإنما اكتفوا برقابتهم

السياسية عليها ، و بإماراتهم التى أنشأوها على ثغور هذه الجزيرة الواسعة ولهواتها .

هكذا كانت هذه الأمة التى كانت لتمثل دوراً مدهشاً فى تاريخ العالم عن قريب، كانت أمة بدوية موهوبة ـ ولكن مواهب ضائعة ـ لا يرفع الناس بأفرادها فى العراق والشام ومصر رأساً ، إذا مروا بهم تجاراً أو ممتارين، ولا يحسبون لهم حساباً . ولا يهمهم شأنهم إلا ما يهم أهل المدن شأن الأعراب المستغربين فى اللباس والصورة واللسان ، ولا يذكرونهم إذا إذا ذكروهم . إلا بذلاقة لسانهم وفصاحة منطقهم وشجاعتهم ، وجودة خيلهم ووفائها ، إلى غير ذلك مما قد تعرفه الأمم المتمدنة عن الأمم البدوية .

وإذا أردت أن تعرف منزلة العرب عند أهل العالم ، قبل الإسلام ، والنظرة التى كان ينظر إليهم بها جيرانهم فى الشرق والشمال ، فاستعرض الآراء التى أبداها رجال ذلك العصر من أهل البصر والمعرفة ، ووافق عليها العرب أنفسهم وزادوا عليها .

فما حفظ لنا التاريخ من هذه الآراء : ما قال إمبراطور الدولة الفارسية لسفراء المسلمين .

جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ، بعد ما ساق حديث رسل المسلمين في مجلس يزدجرد .

قال : « فتكلم يزدجرد فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دهاكم ، فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم » .

فقال المغيرة بن شعبة :

« أيها الملك ، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً . فأما ما ذكرت من سوء الحال . فما كان أسوأ حالا منا ، وأما جوعنا : فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا . وأما المنازل فإنما

هى ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغى بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن إبنته وهى حية . كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ماذكرت لك فبعث الله إلينا رجلا الخ[١] .

وجاء فى هذا الكتاب أيضاً :

« قد بعث أمير الفرس يطلب رجلا من المسلمين ليكلمه ، فذهب إليه المغيرة بن شعبة . فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه، وفيما خاطبه به من الكلام فى احتقار العرب واستهانته بهم ، وأنهم كانوا أطول الناس جوعاً ، وأقلهم داراً وقدراً ، وقال: مايمنع هؤلاء الأساورة[٢] حولى أن ينتظموكم بالنشاب إلا تحجا من جيفكم ، فإن تذهبوا نخل عنكم ، وإن تأبوا نذركم مصارعكم . قال : فتشهدت وحمدت الله ، وقلت:

---

(١) البداية والنهاية ج٤٧ص٤٢ .

(٢) الإسوار والأسوار عند الفرس : القائد ، أساور وأساورة .

لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت حتى بعث الله رسوله إلخ[(١)] » .

وفى هذا الكتاب أيضاً :

« ذكر الوليد بن مسلم : أن ماهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين ، فيجتمعا فى مصلحة . فقال ماهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع . فهلموا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير و كسوة وطعاماً ، وترجعون إلى بلادكم : فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها »[(٢)] .

وهذا كله يدل على ما كان يساوى العرب عند الروم ، وعلى ما كان لهم من قيمة ومنزلة عندهم .

ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال وانقلبت الحقائق ، وبطلت التجارب السابقة وتاه العقل . إذ خرج هؤلاء الأعراب من صحرائهم يفتحون ويقهرون ويغلبون ويخضعون : تدفق هذا السيل من مدينة الرسول ﷺ عاصمة العرب الإسلامية

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٠٩ .
(٢) أيضا : ج ٧ ص ١٠ .

لإحدى عشر سنة للهجرة النبوية واثنتين وثلاثين وست مائة لميلاد المسيح ، فغلب كل شيء اعترضه فى الطريق وطما على السهل والجبل ، ولم تكن جيوش فارس والروم ومصر وغيرها المعدودة بمئات الألوف الشاكية السلاح . الشديدة البطش التى كانت الأرض تزلزل بها زلزالا . لم تكن هذه الجنود المجندة إلا حشائش فى هذا التيار الجارف. فلم تعق سيره ولم تغير مجراه ، حتى فاض فى مروج الشام وفلسطين وسهول العراق وفارس وربوع مصر والمغرب الأقصى وأودية هملايا ، سال هذا السيل القوى بالمدنيات العتيقة والحكومات المنظمة القوية ، والأمم العريقة فى المجد والسلطان فأصبحت خبراً بعد عين (وجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) .

خرج العرب من جزيرتهم فاحتكوا بالفرس والروم ، وكان العرب يكرهون وجوههم (١) ويرهبون سطوتهم فى ديارهم، ولكن

---

(١) قال الطبرى : عندما أراد عمر فتح فارس تخوفوا من الفرس وعجبوا كيف يستطيعون أن يحاربوهم ؟ وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم (تاريخ الطبرى ج ٤ : ٦١) .

هانوا عليهم فى هذه المرة فغزوهم فى عقر دارهم ، ونزلوا بساحاتهم. فما لبثوا أن مزقوا جموعهم شر ممزق وثلوا عروشهم ، ووطأوا تيجان ملوكهم ، وفتحوا كنوزهم واقتسموا أموالهم وتراث ملوكهم وسبوا ذراريهم ، ومزقوا رداء فخرهم وعظمتهم فلم يرقع أبداً ، وكسروا شوكتهم فلم تعد أبداً ، وهلك كسرى فلا كسرى بعده ، وهلك قيصر فلا قيصر بعده (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها).

خرج هؤلاء العرب من جزيرتهم فى ثياب صفيقة مرقعة ، ونعال وضيعة مخصوفة . يتقلدون سيوفاً بالية الأجفان رثة المحامل ، على خيل بعضها عارية الظهور متقطعة الغرز . قد بلغ بهم البعد عن المدينة إلى حد أنهم كانوا يحسبون الكافور ملحاً وربما استعمله بعضهم فى العجين[1] فما لبثوا أن ملكوا

---

(١) قال ابن كثير : كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملآناً إلى أعلاه من أوانى الذهب والفضة ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً فيحسبونه ملحاً ، وربما استعمله بعضهم فى العجين فوجدوه مراً حتى تبينوا أمره (البداية ج ٧ ص ٦٧) .

الدنيا ، وامتلكوا ناصية أمم بعيدة الشأن فى المدينة ، انقلب رعاء الشاة والإبل رعاة لأرقى طوائف البشر فى العلم والمدنية والنظام ، وصار هؤلاء أساتذتهم فى العلم والآداب والأخلاق والتهذيب وحقت كلمة الله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) .

هذه القوة القاهرة بعد ذلك الضعف المخزى . وهذا النشاط الغريب بعد ذلك الخمود العجيب . وهذا الانتباه السريع بعد ذلك السبات العميق . لغزة من ألغاز التاريخ . وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن هذا الحادث ، أغرب ماوقع فى التاريخ الإنسانى ، وإليك بعض ما قال المؤرخون الأوربيون :

يقول المؤرخ جبون : « بقوة واحدة وبنجاح واحد زحف العرب على خلفاء أغسطس (فى الروم) واصطخر (فى فارس) وأصبحت الدولتان المتنافستان فى ساعة واحدة فريسة لعدو لم يزل موضع الازدراء والاحتقار منهما . فى عشر سنوات من من أيام حكم عمر أخضع العرب لسلطانه ستاً وثلاثين ألفاً من

المدن والقلاع . خربوا أربعة آلاف كنيسة ومعبد للكفار، وأنشأوا أربعة عشر ألفاً من المساجد لعبادة المسلمين. على رأس قرن من هجرة محمد ﷺ من مكة امتد سلطان خلفائه من الهند إلى المحيط الاطلانطيكى. وترفرف علم الإسلام على أقطار مختلفة نائية : كفارس وسورية ومصر وأفريقية وأسبانيا[1] .

ويقول ستوارد الأمريكي فى كتابه حاضر العالم الإسلامى :
« كاد يكون نبأ نشوء الإسلام النبأ الأعجب الذى دوّن فى تاريخ الإنسان ، ظهر الإسلام فى أمة كانت من قبل ذلك العهد متضعضعة الكيان وبلاد منحطة الشأن . فلم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر فى نصف الأرض ممزقاً ممالك عالية الذرى . مترامية الأطراف ، وهادماً أدياناً قديمة كرت عليها الحقب والأجيال ، ومغيراً ما بنفوس الأمم والأقوام وبانياً عالماً حديثاً متراص الأركان . وهو عالم الإسلام .

(١) انحطاط رومة وسقوطها ، المجلد الخامس ص ٤٧٤ - ٤٧٥ طبع اكسفورد .

كلما زدنا استقصاءاً باحثين فى سر تقدم الإسلام وتعاليه زادنا ذلك العجب العجاب بهراً. فارتددنا عنه بأطراف حاسرة. عرفنا أن سائر الأديان العظمى إنما نشأت ثم أنشأت تسير فى سبيلها سيراً بطيئاً ملاقية كل صعب، حتى كان أن قيض الله لكل دين منها ماأراده له من ملك ناصر وسلطان قاهر، انتحل ذلك الدين ثم أخذ فى تأييده والذب عنه حتى رسخت أركانه ومنعت جوانبه. بطل النصرانية قسطنطين. والبوذية «أسوكا» والمزدكية فيا كسرو. كل منهم ملك جبار أيد دينه الذى انتحله بما استطاع من القوة والأيد. إنما ليس الأمر كذلك فى الإسلام. الاسلام الذى نشأ فى بلاد صحراوية. تجوب فيافيها شتى القبائل الرحالة التى لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة فى التاريخ. فسرعان ما شرع يتدفق وينتشر وتتسع رقعته فى جهات الأرض مجتازاً أفدح الخطوب وأصعب العقبات. دون أن يكون له من الأمم الأخرى عون يذكر. ولا أزر مشدود. وعلى شدة هذه المكاره فقد نصر الإسلام نصراً مبيناً عجيباً، إذ لم يكد يمضى على ظهوره أكثر من

قرنين حتى باتت راية الإسلام خفاقة من « البرانس » حتى (هملايا) ومن صحاري أواسط آسية حتى صحارى أواسط أفريقية »[1] .

ويقول مؤرخ عصرى (ه ، ا ، ل فيشر) فى كتابه تاريخ أوربا : « لم يكن هنالك (فى جزيرة العرب قبل الاسلام) أثر لحكومة عربية أو جيش منتظم أو لطموح سياسى عام. كان العرب شعراء خياليين محاربين وتجاراً . لم يكونوا سياسيين، إنهم لم يجدوا فى دينهم قوة تثبتهم أو توحدهم . إنهم كانوا على نظام منحط من الشرك . بعد مائة سنة حمل هؤلاء المتوحشون الخاملون لأنفسهم قوة عالمية عظيمة . إنهم فتحوا سورية ومصر . ودخلوا وقلبوا فارس ، ملكوا تركستان الغربية وجزءاً من بنجاب. إنهم انتزعوا إفريقية من البازنطيين والبربر . وأسبانيا من القوط . هددوا فرنسا فى الغرب .

---

(١) حاضر العالم الإسلامى ج ١ تعريف الأستاذ عجاج نويهض مقدمة فى نشوء الإسلام .

والقسطنطينية فى الشرق ، مخرت أساطيلهم المصنوعة فى الاسكندرية وموانى سورية مياه البحر المتوسط، اكتسحت الجزائر اليونانية . وتحدت القوة البحرية للامبراطورية البازنطينية ، لم يقاومهم إلا الفرس وبربر جبال الأطلس إنهم شقوا طريقهم بسهولة . حتى صعب فى بداية القرن الثامن المسيحى أن يقف فى وجههم واقف . ويعرقل سيرهم فى الفتح والاستيلاء . لم يعد البحر المتوسط بحر الروم . بل أصبح حوضاً عثمانياً لا سيطرة فيه لغير الترك . ووجدت الدول النصرانية من أقصى أوربا إلى أقصاها منذرة مهددة بحضارة شرقية مبنية على دين شرقى » .

ويقول مؤلف اشتراكى : « إن الإنسان ليدهش إذا تأمل المصرعة الغريبة التى تغلب بها طوائف صغيرة من الرحالين الذين خرجوا من صحراء العرب مشتعلين بحماسة دينية على أقوى دولتين فى الزمن القديم ، لم يمض خمسون سنة على بعثة محمد ﷺ حتى غرز أتباعه علم الفتح على حدود الهند فى جانب

وعلى ساحل البحر الإطلانطيكي فى جانب آخر . إن خلفاء دمشق الأولين حكموا على امبراطورية لم تكن لتقطع فى أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل . على نهاية القرن الأول للهجرة ، كان الخلفاء أقوى ملوك العالم .

كل نبى جاء بمعجزات آية لما يقول . وبرهاناً على صدقه . ولكن محمداً ﷺ هو أعظم الأنبياء وأجلهم إذ كان انتشار الإسلام أكبر آيات الأنبياء وأروعها إعجازاً وخرقاً للعادة . إن إمبراطورية أغسطس الرومية بعد ماوسعها بطلها تراجان نتيجة فتوح عظيمة فى سبعة قرون ولكنها لاتساوى المملكة العربية التى أسست فى أقل من قرن . إن إمبراطورية الإسكندر لم تكن فى اتساعها إلا كسراً من كسور مملكة الخلفاء الواسعة إن الإمبراطورية الفارسية قاومت الروم زهاء ألف سنة . ولكنها غلبت وسقطت أمام سيف الله فى أقل من عشر سنوات » .

والآن ننظر فى هذا الحادث الغريب نظراً عامياً تحليلياً . ونبحث عن أسبابه الحقيقية .

الجنود والدول فى هذا العالم المادى تغلب الجنود والدول فى الغالب لوفرة عددها . أو بزيادة عدتها وعتادها ولأنها أحسن فى الشكة والسلاح . وفى التنظيمات العسكرية . وفائقة فى النظام الحربى . فنتناول جميع هذه العلل المادية التى يرجع إليها الفضل فى انتصار الجيوش والدول عامة ونبحث فيها علة علة .

أما العدد فمعلوم أنه كانت النسبة بعيدة بين المقاتلين فى العدد وفى جميع المواقف الحاسمة والمعارك الفاصلة فى كفاح الإسلام والنصرانية والمجوسية ، وكان الروم والفرس أضعاف عدد المسلمين فى أكثر الوقائع . هذه اليرموك. كان الروم الذين نفروا لقتال المسلمين يبلغ عددهم إلى مائة ألف وثمانين ألفاً ، وفى رواية مائتى ألف . وفى رواية أربعين ومائتى ألف ، وأقل ما روى عن عددهم عشرون ومائة ألف ، وأكثر ما ذكر عن المسلمين أنهم كانوا أربعاً وعشرين ألفاً ، كذلك كانت النسبة بعيدة فى وقعة القادسية ، وهى أختها فى العراق والنتيجة معلومة وما يوم حليمة بسر .

وقد اعترف بقلة المسلمين ووفرة جنود الروم والفرس المؤرخون جميعاً ، ولم يعللوا الفتح الإسلامى الغريب فى التاريخ بكثرة عدد مقاتلة المسلمين . جاء فى الفصل الرابع من الجزء السابع من « تاريخ العالم » للأستاذين « غود فرواد مونبين » و « بلاتونوف » .

« إن العرب الذين أفاضوا من الجزيرة لفتح الأمصار ، لم يكونوا عصائب لا تحصى ولا تعد . تدفقت على الشرق المتمدن . فقد أحصى مؤرخو العرب الجيش الأول المسلمين فى اليرموك بثلاثة آلاف ، ثم أرسل إليهم الخليفة بنجدة أبلغتهم ٧٥٠٠ مقاتل ، وأخيراً تتام عددهم ٢٤ ألفاً ، وأما عدد الروم فقال العرب : إنه كان مائة ألف ، وقيل : ١٢٠ ألفاً ، وقيل : ٢٠٠ ألف مقاتل : ولم يزده مؤرخو بيزنطية على ٤٠ ألفاً ، وعلى كل حال كان العدد الأكبر لأعداء العرب ، وهكذا فى حروب فارس »[1] .

---

(١) حاضر العالم الاسلامى حواشى الأمير شكيب أرسلان ج٢ ص٢٩

ومعلوم أن جزيرة العرب قليلة العمران ، بالنسبة إلى مساحتها واتساع رقعتها ومعظمها صحراء ورمال وعساء . وأرض قاحلة جرداء . أما البلاد التي زحف عليها المسلمون ورموا فيها بأنفسهم . فهي من أخصب بلاد الله مستبحرة العمران مكتظة بالسكان . وكانت خليتها تعسل حيناً بعد حين ، وتقطع بعوثاً إثر بعوث . وتتدفق سيول من الجيوش والمقاتلة وتأتيهم الميرة من كل مكان لا تكاد تنتهي .

وكان العرب الغرباء كنقطة مغمورة في بحار من الأعداء نازحين عن بلادهم . منقطعين عن مركزهم . ولا يصلهم المدد إلا بشق الأنفس وبعد شهور . لا يجدون من الميرة إلا ما يتغلبون عليه وينتزعونه من أيدي أعدائهم انتزاعاً . فلو تطوعت جزيرة العرب كلها لقتال الروم والفرس ونفر جميع أهاليها للجهاد في سبيل الله — على أن ذلك من المستحيل لما وقعوا من العالم النصراني والمجوسي . وهما أكثر من نصف

الأرض المعمورة بمكان . فكيف والذين تطوعوا للجهاد ما كانوا نصف عشر عمران الجزيرة ؟ .

أما العدد والعتاد ، فكان العرب أفقر فيها وأقل منهم فى العدد ، فلم تكن هناك جنود مرتزقة ، ولا جيوش منظمة تعبئها الحكومة وتسلحها من عندها . ثم تبعثها كاملة السلاح تامة الجهاز . إنما كان متطوعون يجهزون أنفسهم ، وينفرون شوقاً إلى الجهاد فى سبيل الله ورجاء ثوابه، ومنهم من لا يجد راحلة ويلتمس عند غيره فلا يجد ، فيقعد متلهفاً على ما يفوته من سعادة الجهاد فى سبيل الله ، وقد أنزل الله فيهم (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه ؛ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون ـ براءة) .

وكان المسلمون تزدريهم أعين الروم والفرس لما خرجوا لقتالهم ، وكانوا يسخرون من سلاحهم ونبالهم وثيابهم ويضحكون ، قال أبو وائل ، أحد الذين شهدوا القادسية :

كان الفرس يقولون المسلمين : لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح، ماجاء بكم ؟ارجعوا . قلنا : مانحن براجعين.فكانوا يضحكون من نبلنا ، ويقولون : دوك دوك ، وشبهونا بالمغازل[1] .

قال ابن كثير : وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة ، فاستأذنوا على كسرى. فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم، وسياطهم بأيديهم والنعال فى أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة وخبطها الأرض بأرجلها، وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب. كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعُدَدها[2] ؟.

ويقول «ماكس مايرهوف» فى تأليفه (العالم الإسلامى): «يكاديكون مستحيلاأن نفهم كيف أن أعراباً منقسمين إلى عشائر ليست عندهم العدد والأعتدة اللازمة يهزمون فى

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤ .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٢ .

مثل هذا الوقت القصير جيوش الرومان والفرس الذين كانوا يفوقونهم مراراً فى الأعداد والعتاد وكانوا يقاتلونهم وهم كتائب منظمة[1] » .

ومما قيل فى تعليل غلبة المسلمين أن العرب كانوا فائقين فى نظامهم الحربى على الروم والفرس فى ذلك العصر ، وكانت كتائبهم أحسن تنظيماً وتدريباً وأفضل نظاماً عسكرياً وأكثر انقياداً لأمرائها وقوادها من العساكر الرومية والفارسية ، وأن الفضل فى انتصار العرب مع قلتهم وانكسار الروم والفرس رغم كثرتهم ، يرجع إلى مراس العرب للقتال وضراوتهم بالحروب وولوعهم بالغزو والنهب ونشأتهم الجاهلية الأولى النشأة الحربية المحضة .

هذا الكلام يشبه أن يكون وجيهاً وأكثر صواباً من التعليلات السابقة ، ولكنك إذا انتقدته كباحث ومؤرخ .

(١) حواشى الأمير شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى فى جزء ١ ص ٢٩ .

وجدته مغالطة كبيرة يغالط بها الكتّاب الأوربيون ويتعللون بها، وقد يفهمون، وقد لا يفهمون.

قد ثبت فى تواريخ القرون الوسطى أن الروم (وكذا الفرس) كانوا راقين فى نظامهم الحربى فى ذلك العصر، وقد بلغت الدولة البزنطية فى بداية القرن السابع المسيحى زهوها وأوج فتوحها الحربية.

ففى ذلك العهد دحر الروم الفرس وردوهم على أعقابهم وجاسوا خلال الديار، وعبر هرقل جبال الكرد ونهر دجلة غازياً منتصراً. وبعد حرب دامية فى ساباط، ومعركة فاصلة فى تينوا دخل دستجرد، وتقدم إلى المدائن، وغرز علم الفتح الرومى فى قلب فارس، وذلك كله فى سنة ٦٢٥ م يعنى قبل زحف المسلمين على الشام بإثنى عشرة سنة فقط.

وقد أفادت هذه الحروب الطاحنة التى بدأت فى سنة ٦٠٣ الفريقين (الروم وفارس) من جهة الحروب والتدريب كثيراً، وقد استفاد الفريقان أساليب جديدة للقتال وحنكة وحسن

بلاء فى الحرب ، وتعلم كل فريق منهما من الآخر كما كان الشأن فى الحرب الصليبية فى القرون الوسطى.

وقد اعترف جبون مؤرخ رومة الكبير بفضل الروم على العرب فى الحروب ونظامها ، فقد قال فى كتابه (المجلد الخامس ص ٤٧٨) :

« أنا ألاحظ هنا وسأكرره مراراً أن هجوم العرب وقتالهم لم يكن مثل الرومان واليونان الذين كانت لهم رجالة قوية مستحكمة ، كانت القوة العسكرية للعرب مركبة من فرسان ورماة ، وكانت الحرب التى قد تقاطعها مبارزات شخصية ومناوشات من القتال قد تستمر وتطول بغير حادثة فاصلة إلى عدة أيام » .

أما ما قيل من مراس العرب للقتال وتدربهم عليها بفضل حروبهم القبلية التى كادت تكون مستمرة وتمكنهم بها من الانتصار على الروم والفرس ، فلم تكن هذه المناوشات والغزوات الطائفية بحيث يتمكن بها العرب من قهر

الامبراطوريتين الكبيرتين الرومية والفارسية ، وقد خضع العرب مع هذا كله للحبشة ولفارس في جنوب العرب وانسحبوا أمام جيوش أبرهة في زحفها على مكة ، وأن الله هو الذي تولى حراسة بيته وكفى قريشاً القتال. وجعل أصحاب الفيل كعصف مأكول ، ولماذا لم يجسر العرب على الخروج من جزيرتهم وغزو البلاد، وفتحها في هذه القرون الطويلة التي قضوها في شبه جزيرتهم في خمود وخمول تام ؟ لماذا لم يهاجموا الروم والفرس، كما فعلوا بعد بعثة محمد ﷺ بغير تراخ ؟

ولماذا لبثوا الأحقاب والأجيال الطوال « معكومين على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم» كما يقول قتادة أحد التابعين الكبار[1] .

أما ما قيل عن النظام فلا ننكر حسن نظام العرب في حروبهم وغزواتهم وروح التعاون والتفادي الساري في جنودهم،

---

(١) تفسير ابن جرير ج ٤ ص ٢٣ .

والطاعة والانقياد لأمراء الجيوش وقوادها؛ والتفانى والاستماتة فى سبيل الله.

ولكن يعلم الخبير أن النظام ليس شيئاً صناعياً ميكانيكياً يحصل بمجرد تنظيمات عسكرية. وفنون حربية. وقواعد رياضية. ولو صففت الحجارة تصفيفاً بديعاً. أو أقيمت العمد والسوارى على نظام فنى رياضى كامل لم تنفع شيئاً.

وقد قرأت فى التاريخ. أن الروم والفرس قد كانوا فى فى بعض المواقف الجليلة يسلسلون أنفسهم ويحفرون لهم فى الأرض لئلا يندحروا أو ينسحبوا من ميدان القتال، ثم لا يغنى هذا عنهم شيئاً. فليس الشأن كله فى النظام فى الحرب. إنما الشأن الكبير والتأثير البليغ للروح، والمبدأ والغاية التى يقاتل لأجلها الجنود، وتمكنها من النفوس وهى منبع القوة الخارقة للعادة. ومبعث الشجاعة التى تبهر العقول وسبب الفتوح العظيمة التي يندهش لها المؤرخون والفلاسفة.

وعن هذا المنبع نبحث فى نفوس العرب الأولين الذين

خرجوا لفتح العالم . وفتحوا نصف الأرض فى نصف قرن .

منبع هذه القوة وسبب هذا الانقلاب العظيم الذى لا يوجد له مثيل فى التاريخ . أن العرب أصبحوا بفضل تعليم محمد ﷺ أصحاب دين ورسالة فبعثوا بعثاً جديداً وخلقوا من جديد ، وانقلبوا فى داخل أنفسهم فانقلبت لهم الدنيا غير ما كانت وانقلبوا لها غير ما كانوا، رأوا إلى العالم حولهم — وطالما رأوه فى جاهليتهم بدهشة واستغراب — فإذا الفساد ضارب أطنابه . وإذا الظلم مادّ رواقه وإذا الظلام مخيم على العالم كله . وكل شىء فى غير محله فمقتوه وأبغضوه . ورأوا إلى الأمم وطوائف البشر حول جزيرتهم . وطالما رأوها بتعظيم وإجلال وغبطة وإكبار. فإذا أنعام ودواب فى صورة البشر (يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) وإذا صور ودمى قد كسيت ملابس الإنسان ، فاستهانوا بهم وبما هم فيه من ترف ونعيم وزخارف وزينة. وقرأوا قول الله تعالى: (زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه) (ولا تعجبك أموالهم

ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) .

وعلموا أن الله قد ابتعثهم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور . ومن عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يطؤها واستخلفهم فى الأرض ومكنهم فيها ، وقرأوا قول الله تعالى : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) وقوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً) وتعلقوا بقول نبيهم ﷺ :

« إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض [١] » .

---

(١) رواه الترمذى .

وقوله : « إذ هلك كسرى فلا كسرى بعده . وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله[1] » .

وعرفوا أن الله قد ضمن لهم بالنصر ووعدهم بالفتح فوثقوا بنصر الله ووعد رسوله واستهانوا بالقلة والكثرة . واستخفوا بالمخاوف والأخطار وذكروا قول الله تعالى : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده . وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقوله : (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) .

وقد فطن بهذه الحقيقة معاصرى المسلمين وأعداؤهم . وأهل النظر والتمييز فى ذلك العصر من الروم والفرس . فمن ذلك ماروى ابن كثير أن هرقل لما انتهى إليه خبر زحف المسلمين قال لأهل الشام : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد وإنهم لاقبل لأحد منهم فأطيعونى وصالحوهم بما يصالحونكم على نصف

(١) رواه الترمذى .

خراج الشام ، ويبقى لكم جبال الروم . وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم[١] .

أما عقيدة المسلمون أنهم مبعوثون إلى الأمم موكلون بإخراج الناس إلى عبادة الله وحده ، وأن الله متولى نصرهم ضامن بظفرهم فستلمحه وتلمسه فى كل ما كان يصدر من المسلمين من كلام وفعال ومن ثقتهم ، وسكينة قلوبهم .

ومن ذلك ما روى أن الأمراء لما كتبوا إلى أبى بكر وعمر فى اليرموك يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم وما يقابلونه من خطر داهم وعدد لا قبل لهم به . كتب إليهم : أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً . وألقوا جنود المشركين فأنتم أنصار الله والله ناصر من نصره وخاذل من كفره . ولن يؤتى مثلكم عن قلة . ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها[٢] .

ولما استشار عمر فى أصحابه فى مسيره إلى العراق بوقعة نهاوند

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥ .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥ .

قال له على بن أبي طالب «يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذى أظهر وجنده الذى أعزه وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده»(١) .

ولذلك كانوا يخاطرون بأنفسهم ويأتون بأعاجيب وأعمال خارقة للعادة ثقة بنصر الله واعتماداً على موعوده. حتى إنهم خاضوا بخيولهم فى دجلة. وكانوا يتحدثون مطمئنين كأنهم سائرون على البر، وكان منظراً غريباً وجعل الفرس يقولون ديوان آمدند يعنون الجن والعفاريت . ويقولون ديوانه ديوانه يعنون المجانين. وكان الذي يساير سعد بن أبي وقاص فى الماء سلمان الفارسى فجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصر الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن فى الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إن الاسلام جديد . ذللت لهم والله

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٠٧ .

البحور كما ذلل لهم البر . أما والذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً فخرجوا منه كما قال سلمان : لم يغرق منهم أحد ولم يفقدوا شيئاً(١) .

بعثت هذه العقيدة النفيسة طمأنينة فى أنفسهم وسكينة فى قلوبهم . وشجاعة خارقة للعادة واستهانة بالعدد والعُدد وعدم عبادة للمادة . وعدم اتخاذ الأسباب أرباباً ، وعرفوا أنهم يقاتلون بقوة الدين ويظفرون ويغلبون ببركة الاسلام فكانوا شديدى الاحتفاظ كثيرى الاعتداد بها يتمثل ذلك فيما قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه . روى يونس عن ابن إسحاق : أن المسلمين بلغهم أن هرقل نزل بمآب فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة (والمسلمون لا يزيدون على ثلاثة آلاف) فلما بلغ المسلمين ذلك أقاموا على معان ليلتين ينتظرون فى أمرهم . وقال: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا . فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٦ .

فمضى له . قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : ياقوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين . إما ظهور وإما شهادة . قال فقال الناس : قد والله صدق رواحة ، فمضى الناس(١) .

وكانوا واثقين بما وعدهم به رسولهم ﷺ من الفتوح العظيمة فإذا رأوا من ذلك شيئاً قالوا (هذا ماوعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، ومازادهم إلا إيماناً وتسليما) .

جاء رجل إلى أبي عبيدة يوم اليرموك فقال : إني قد تهيأت لأمري فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، تقرئه مني السلام وتقول يارسول الله : إنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً(٢) .

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٣ .
(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٢ .

وقد بلغوا فى قلة الاهتمام بالعدد والاستخفاف بشأن العدو وكثرته حتى كأنهم من حديد والعدو من طين وخزف ، أو كأنهم مناجل والعلوج[1] حقول ومزارع وقد أينعت وحان حصادها .

قال المؤرخون : لما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!؟ فقال خالد : ويلك أتخوفنى بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه وأنهم أضعفوا فى العدد وكان فرسه قد حفا واشتكى فى مجيئه من العراق[2] .

وقد ارتفع هؤلاء وعلت هممهم وكبرت نفوسهم وعظم الدين والحقيقة والأخلاق ، فى نظرهم حتى صغرت الدنيا وزخارفها فى عيونهم ، وهان أهلها عليهم فكانوا يرون إلى أبهة

(١) العلج : الرجل الضخم القوى من كفار العجم . وقد يطلق على الكافر عموماً .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٩ .

الملوك وفخفخة السلاطين، وما فيه أغنياء هاتين المدينتين ومترفوها من الأثاث والرياش وزخارف الدنيا، كأنهم يرون إلى لعب الصبيان وكأنهم يرون الدمى والبنات المصنوعة من ورق أو قماش فى مواكبها وزينتها، لا يهولهم شىء ولا يعظم فى عينهم شىء.

أرسل سعد قبل القادسية ربعى بن عامر رسولا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحرير وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعى بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط. ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتمونى. فإن تركتمونى هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا:

له ما جاء بكم فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه . فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلنا أبداً حتى نفضى إلي موعود الله. قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقالتكم . فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال نعم كم أحب إليكم يوماً أو يومين؟ قال : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : ما سنّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر فى أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل . فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا . ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجيز أدناهم على أعلاهم فاجتمع رستم برؤساء قومه . فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى

الثياب وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة . إن العرب يستخفون بالثياب والمآكل ويصونون الأحساب[١] .

دخل المغيرة بن شعبة على رستم . وقعد معه على السرير فشخروا وصاحوا فقال: إن هذا لم يزدنى رفعة ولم ينقص صاحبكم. فقال رستم : صدق[٢] .

وكان من أكبر أنصار المسلمين أخلاقهم العالية . وسيرتهم الملكية فكانوا يمتازون بها. ويُعرفون بها أينما رحلوا ونزلوا. وكانت هذه الأخلاق طليعة جيوشهم . تسخر لهم القلوب والنفوس وتشرح لهم الصدور قبل أن تعمل سيوفهم ورماحهم ونبالهم، والذين كانوا يشهدون أن هؤلاء سيغلبون ويملكون الدنيا . وأن الفرق بينهم وبين أقرانهم كالفرق بين البهائم والملائكة .

روى أحمد بن مروان المالكى فى المجالسة بسنده عن أبى إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠

فواق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على أنطاكية، لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم، أخبرنى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم. أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى. قال فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟

قال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار. ويوفون بالعهد. ويأمرون بالمعروف. وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى. ونركب الحرام. وننقض العهد ونغضب ونظلم، ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله. ونفسد فى الأرض. فقال: أنت صدقتنى.

وسأل هرقل: هذا رجلا كان قد أسر مع المسلمين. فقال: أخبرنى عن هؤلاء القوم. فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم. هم فرسان بالنهار رهبان بالليل. لا يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام. يقفون على من حاربوا حتى

يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ليملكُنّ موضع قدمي هاتين[1] .

ووصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقاً . أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها . ويثقفون القنا . لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به[2] .

حببتهم هذه الأخلاق إلى أعدائهم الذين كانوا يقاتلونهم حتى إن كان هؤلاء ليؤثرونهم على بني جلدتهم وأبناء ملتهم ، ويتمنون لهم الظفر ، ويدفعون عنهم العدو ويتطوعون لصالحهم .

قال البلاذري في فتوح البلدان: حدثني أبو حفص الدمشقي قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: بلغني أنه لما جمع هرقل

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥٣

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦

للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم بوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم. فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد. فأغلقوا الأبواب واحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود. وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد. فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدينتهم وأخرجوا المقلسين[1] فلبوا وأدوا الخروج[2].

هذا ولما طال على المسلمين الأمد وقست قلوبهم ونسوا وتناسوا ما لأجله بعثهم الله على كثرة من الناس وتوافر من

(١) قلس للقوم: استقبلوا الولاة عند قدومهم بضرب الدف والغناء وأصناف اللهو.

(٢) فتوح البلدان ص١٣٧ طبع بريل.

أمم الأرض وهو قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ونسوا ما لأجله خرجوا من جزيرتهم يخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده وصاروا يحكمون الناس حكم الناس على الناس وصاروا يعيشون حياة لاهية حرة، حياة من لا يعرف نبياً ولا يؤمن برسالة ووحى ولا يرجو حساباً ولا يخشى معاداً، وأشبهوا الأمم الجاهلية التى خرجوا يقاتلونها بالأمس، عادوا فقلدوها فى مدنيتها واجتماعها وسياستها وأخلاقها ومناهج حياتها، وفى كثير مما مقتها الله لأجله وخذلها وأصبحوا لاهم لهم ولا شغل إلا الأكل والشرب والتناسل، وأصبحوا كرعايا الناس ليس لهم فرقان ولا نور يمشون به بين الناس، وأشبهت ملوكهم وأمراؤهم جبابرتها وفراعنتها وأغنياؤهم مترفيها وأكابر مجرميها، وكاد يسبق فجارهم فجارها، تحاسد وبغضاء ومنافسة فى السلطان وتكالب على حطام الدنيا، وإخلاد إلى الترف والنعيم وإعراض عن الآخرة، وسفك للدماء وهتك للأعراض، وهضم للحقوق وغدر بالعهود والذمم وتعدّ

عن حدود الله، وإعانة للظالم وجنف في الحكومات والمظالم وتبذير لأموال الله وعموم الفواحش والمنكرات وابتداع للجرائم وإبداع في الجناية مما يحتاج بسطه إلى مجلدات، فهانوا إذاً على الله مع أسمائهم الإسلامية ورغم وجود الصالحين فيهم وظهور الشعائر الدينية والواجبات الشرعية في بلادهم، وهانوا على الناس رغم مملكتهم الواسعة وجيوشهم الكثيفة وخزائنهم العامرة، ورغم تقدمهم في الحضارة ومظاهرها الكثيرة ،فقل إكرام الناس لهم وهيبتهم إياهم وتجاسروا عليهم، قال رتبيل ملك رخج وسجستان لرسل يزيد بن عبد الملك وقد جاءوا إليه يطالبونه بالخراج « ما فعل قوم كانوا يأتون خماص البطون سود الوجوه من الصلاة، نعالهم خوص ؟قالوا: انقرضوا.قال : أولئك أوفى منكم عهداً وأشد بأساً وإن كنتم أحسن منهم وجوهاً » ثم لم يعط أحداً من عمال بني أمية ولا عمال أبي مسلم على سجستان من تلك الأتاوة شيئاً[1] .

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٠١ طبع بريل .

فإذا كان هذا فى القرن الثانى فما ظنك بقرون بعده ؟!

حتى إذا بلغ السيل الزّبى وتضاعف كل ما ذكرناه وأفسد المسلمون فى الأرض بعد إصلاحها وآسفوا الله، بعث عليهم عباداً له أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، سلط عليهم المغول والتتار أشق الأمم وأخملها وأجهلها وأوحشها، فوضعوا فيهم السيف وأجروا من دمائهم سيولا وأنهاراً، وأقاموا من رؤوسهم صروحا وتلالا، وفعلوا بهم الأفاعيل وأحلسوهم الخوف فتمكن من قلوبهم الوهن والجبن حتى أصبحوا لا يصدقون بهزيمة التتر. قال ابن الأثير : سمع عن بعض أكابرهم أنه قال من حدثك أن التتر انهزموا فلا تصدقه، قال ووقع رعبهم فى قلوب الناس حتى كان أحدهم إذا لقى جماعة يقتلهم واحداً واحداً وهم دهشون، ودخلت امرأة من التتر داراً وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلا، ودخل واحد منهم درباً فيه مائة رجل، فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يمد أحد يده إليه بسوء، ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم

قليلا ولا كثيراً نعوذ بالله من الخذلان ، وحكى أن أحدهم، أخذ رجلا ولم يجد مايقتله به ،فقال له : ضع رأسك على هذا الحجر ولاتبرح ،فوضع رأسه وبقى إن أن أتى التترى بسيفه وقتله ، قال ابن الأثير وأمثال ذلك كثيرة

وإليك ما قال ابن الأثير قبل أن يسرد وقائع هذه النازلة .

« لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً .. هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل إن أهل العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا يدانيها .... ولعل

الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا . الخ » .

ولكن مثل هذه الحادثة لم تستطع أن تنبه المسلمين ولم يفيقوا من سكرتهم ولم يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم، وحق عليهم قول ربهم (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) وقوله (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وقوله (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون)وما زالوا منهمكين فيما هم فيه من غفلة ولهو وظلم حتى يقول ابن الأثير :

« فالله تعالى ينصر الإسلام والمسلمين نصراً من عنده، فما نرى فى ملوك الإسلام من له رغبة فى الجهاد، ولا فى نصرة الدين. بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته، وهذا أخوف عندى من العدو» وقال الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) .

ومما يجب أن يلاحظه القارىء ويعتبر به المعتبر أن المسلمين

فى هذه الظلماء التى غشيتهم، والفتنة التى عمتهم كما أفاقوا من سكرتهم، وأصلحوا شأنهم وأزاحوا العلل وصمدوا فى وجه العدو واستنزلوا النصر. هزموا التتر الذين لم يكونوا يعرفون الهزيمة ولا يصدق الناس بإنهزامهم، فقد هزمهم جلال الدين خوارزمشاه ثلاث مرات وهزمهم الظاهر بيبرس غير مرة وهزمهم الملك الناصر صاحب مصر بمرج الصفر، قال السيوطى عن وقعة عين جالوت «فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الأدبار وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم»[1].

ولم يزدد المسلمون إلا ضعفاً ولم تزدد أخلاقهم على مر الأيام إلا انحطاطاً وتدهوراً ولا أحوالهم وشئونهم إلا فساداً، حتى أصبحوا أمة جوفاء لا روح فيها ولا دم، وكانوا كصرح عظيم من خشب منخور قائم لا يزال يورى الناس ويهول من بعيد، أو كدوحة قد تآكلت جذورها ونخر جذعها العظيم، ولم تنقلع

---

(١) تاريخ الخلفاء.

بعدُ. وأصبحت بلادهم مالا سائباً لا مانع له ، وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس وطعمة لكل آكل ، وحق قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قال قائل يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت[1] » .

واستمر المسلمون بهذا الحال وزيادة حتى أغار عليهم فى القرن الثامن عشر المسيحى الأمم الأوربية النصرانية الجاهلية. المتحضرة الوحشية الكاسية العارية[2]، فسلموها مفاتيح ملكهم واعتزلوا فى مصلحتها عن قيادة العالم.

---

(١) رواه أبو داود عن ثوبان رضى الله عنه .

(٢) المطلع على تاريخ حضارة هذه الأمم وطبيعتها يصدق هذه الصفات المتناقضة .

وقد بلغ المسلمون من الانحطاط الخلقى منزلة ، أن وجد فيهم أفراد خانوا أمتهم ، وشروا بلادهم بثمن بخس ، دراهم معدودة ، وتطوعوا فى جنود العدو يفتحون بلادهم للأجنبى على حسابهم .

ولكن هذا الهجوم الغربى كان أشد تأثيراً وأعمق أثراً وأبعد مدى من الهجوم الشرقى (المغولى والتتارى) ، فكاد يخمد كل جمرة فى قلوبهم لم تخمدها العواصف طيلة هذه القرون ، وبقيت كامنة فى الرماد تخبو مرة وتلتهب مرة أخرى .

فتش عقلاؤهم عن منابع القوة الكامنة فى نفوس المسلمين وقلوبهم فوجدوا أن أكبر منبع القوة والحياة هو «الإيمان» ، وشهدوا ما فعل الإيمان قديماً ، وما أظهر من معجزات وخوارق ، وما هو خليق بأن يفعل ، فعادوه وسلطوا على المسلمين عدوين ، هما أفتك بهم وأضر لهم من المغول والتتار ، ومن الوباء الفاتك . الأول : هو الشك وضعف اليقين الذى لا شىء أدعى الضعف

والجبن منه ، والثانى : ما نعبر عنه بالذل النفسى ، وهو أن صار المسلمون يشعرون بالذل والهوان فى داخل أنفسهم وفى أعماق قلوبهم . ويزدرون بكل ما يتصل بهم من دين وتهذيب وأخلاق، ويستحيون من أنفسهم، ويؤمنون بفضل الأوربيين فى كل شىء ، ويعتقدون فيهم كل خير . ولا يكادون يعترفون بنقصهم وعيبهم فى ناحية من نواحى الحياة ، ولا يصدقون بانهزامهم وفشلهم فى ساعة من ساعات الدهر ، وإذا تمكن هذا الذل من نفوس أمة فقد ماتت ، وإن كنت تراها تغدو وتروح ، وتأكل وتعيش .

وابتلى المسلمون فى هذه المرة — بتأثير الحضارة الغربية، والفلسفة الغربية — بعبادة المادة وحب الدنيا ، والجرى وراء النفع العاجل وتقديم المصالح الشخصية والمنافع المادية ، على المبادىء والأخلاق ، شأن الأمم الأوربية الجاهلية ، فكانت هذه الأخلاق وهذه النفسية والتربية مانعاً من الجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، ومن تحمل المشاق وتجرع المرائر

ومكابدة الأهوال والخسائر فى سبيل المبدأ الصحيح والعقيدة السامية .

كان نتيجة هذا كله أن ظهر جيل فى المسلمين ، متنور الذهن ، ولكن مظلم الروح ، أجوف القلب ، ضعيف اليقين ، قليل الدين قليل الصبر والجد ، ضعيف الإرادة والخلق ، يبيع دينه بدنياه ، وآجله بعاجله ، ويبيع أمته وبلاده بمنافعه الشخصية ، وبجاه وعزة وهمية ، ضعيف الثقة بنفسه وأمته ، عظيم الاتكال ، كثير الاستناد إلى غيره .

(وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم) .

هؤلاء هم الذين نشروا فى المسلمين الجبن والوهن ، وصرفوا المسلمين عن الاتكال على الله ، ثم الاعتماد على أنفسهم إلى الاعتماد على غيرهم والتكفف لديهم والالتجاء فى مواقع الخطر إليهم ، وأطفئوا فى قلوبهم شعلة الجهاد فى سبيل الله . والحمية للدين ، وأبدلوها بالوطنية العليلة ، والجنسية الناعسة ، وأبدلوا جنونها

الذى بعث الحكمة من مرقدها ؛ وأطلق العقل من إساره ، والذى تمكن مما لم يتمكن منه العقل والعلم فى آلاف من السنين ، أبدلوا هذا الجنون الحكيم بعقل ناقص عليل لا يعرف إلا الموانع والعراقيل .

وقد ظهر هذا التحول العظيم فى العقيدة والنفسية والإفلاس فى الروح والإيمان فى شر مظاهره فى حرب فلسطين ، فكان فضيحة للعالم العربى فى القرن الرابع عشر الهجرى ، كما كان انكسار المسلمين وفشلهم الذريع أمام الزحف التتارى فضيحة للعالم الإسلامى فى القرن الثامن ، فقد اجتمعت سبع دول عربية لتحارب الصهيونية ، وتدافع عن وطن عربى إسلامي مقدس ، عن القبلة الأولى وعن المسجد الثالث الذى تشد إليه الرحال ، وعن جزيرة العرب والأقطار العربية التى أصبحت مهددة بالخطر الصهيونى ، فكانت حرب فلسطين دفاعاً عن حياة وشرف ؛ وعن دين وعقيدة ، وكان العالم العربى بأسره إزاء دويلة صغيرة لم تستقر بعد ، واتجهت الأنظار إلى

مسرح فلسطين ، وانتظر الناس معركة مثل معركة اليرموك أو وقعة مثل وقعة حطين ، ولماذا لا ينتظرونها والأمة هى الأمة ، والعقيدة هى العقيدة مع زيادة فائقة فى المدد والعُدد ، فلماذا لا ينتصر العرب وهم عالم ، ولماذا لا يقضون على عدوهم وهو حفنة من المشردين ؟ ؟

ولكنهم نسوا مافعلت الأيام وما فعلت التربية، ومافعلت الدول والزعامة السياسية ، ومافعلت المادية بالأمة العربية فى هذا العصر ، لقد تقدم العرب إلى معركة اليرموك حقاً ، ولكن بغير الإيمان الذى تقدم به أسلافهم إلى هذه المعركة فى العصر الأول .

لقد تقدموا إلى وقعة كانت وقعة حاسمة كحطين — لو ظفر العرب — ولكنهم تقدموا بغير الروح التى تقدم بها صلاح الدين وجنده المؤمن المجاهد . تقدموا بقلوب خاوية تكره الموت ، وتحب الحياة ، وأهواء مشتتة ، وكلمة متفرقة ، يريدون أن يربحوا النصر ولا يخسروا شيئاً وأن

يحافظوا على ترفهم ولا يخاطروا بشيء ، كل يعتقد أن غيره هو المسئول عن الحرب وعن الغلبة والهزيمة ، ثم هم يقاتلون وحبلهم في يد غيرهم إذا أرخى قليلا تقدموا وإذا جرّه تأخّروا، وإذا قال : حارِبوا حارَبوا . وإذا قيل : اصطلحوا اصطلحوا ، وما هكذا يكتسب الظفر ويقهر العدو :

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل
ما هكـــذا تورا الإبل

وبقى العالم متطلعاً إلى ما قرأه فى تاريخ الجهاد الإسلامي من روائع الإيمان وخوارق الشجاعة والصبر، والاستهانة بالحياة، والبسالة والبطولة والاستقبال للموت ،والتمنى للشهادة وحسن النظام ، وروح الإطاعة والإيثار ، فلم ير من ذلك شيئاً . إلا لمعات وإشراقات للإيمان كانت تظهر مع بعض المتطوعين فى حرب فلسطين والإخوان المجاهدين تجندوا وتطوعوا للحرب بدافع الإيمان والدفاع عن الإسلام ، وحملتهم الحمية الدينية على المغامرة ، ودفعتهم إلى ميدان الحرب ، فشرفوا الدين وأرعبوا

القلوب ، وأعادوا التاريخ القديم . وبرهنوا على أن الإيمان لايزال المنبع الفياض للقوة والنظام ، وأن عنده من القوة والنفوذ والتنظيم وروح المقاومة والجهاد ما ليس عند الدول الكبيرة المنظمة .

لقد ثبت مما ذكرناه فى هذا الكتاب ، وما سردناه من الأمثلة والأخبار ، وشهادات التاريخ ومشاهدات هذا العصر — وما حرب فلسطين منا ببعيد — إن المد والجزر فى تاريخ الإسلام وأحوال المسلمين تابعان للمد والجزر فى الإيمان. وقوة معنوياتهم التى تنبثق من الدين . وأن تنبع قوة هذه الأمة فى باطنها وهو القلب والروح ، فإذا عمر القلب بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر . أثبتنا للعالم أننا قوة خارقة للعادة لايغلبها العالم ، ولو سعى بأسره وجميع شعوبه وجنوده ودوله ، ويصيرون قضاء الله الغالب وقدره المحتوم وكلمته العليا (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون) (ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصية الفضيل

ذكر بعض المؤرخين : أن هرون الرشيد حج ومعه الفضل بن الربيع قال : أتانى أمير المؤمنين فخرجت إليه مسرعاً . قلت : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إلى لأتيتك فقال : ويحك ، قد جال فى نفسى شىء فانظر لى رجلا أسأله، قلت : ههنا سفيان بن عيينة فقال : أمض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب ،فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً وقال : ياأمير المؤمنين لوأرسلت إلىّ لأتيتك .

فقال : خذ لما جئناك له رحمك الله فحدثه ساعة . ثم قال له عليك دين . قال : نعم . فقال : أقض دينه .

فلما خرجنا قال : ماأغنى عني صاحبك شيئاً أنظرلى رجلا أسأله . قلت :ههنا عبد الرزاق،فذكر مثل ماجرى له مع سفيان وقال : ما أغني عنى صاحبك شيئاً أنظرلى رجلا أسأله فقلت :

ههنا الفضيل بن عياض، فقال: أمض بنا إليه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها قال: أقرع الباب. فقرعت فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولأمير المؤمنين. فقلت: سبحان الله أما له عليك طاعة، فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف أمير المؤمنين قبلى إليه، فقال يالها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل، فقلت: ليكلمنه الليلة بكلام نقى. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظى، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى بليتُ بهذا البلاء، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا، وليكن فطرك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظى: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا، وأصغرهم عندك ابنا. فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب المسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

وإنى أقول لك يا هرون: إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكي هرون بكاء شديداً حتى غشى عليه فقلت: أرفق يأمير المؤمنين. فقال: تقتله أنت وأصحابك وارفق به أنا، ثم أفاق فقال: زدنى رحمك الله.

فقال له يا أمير المؤمنين: بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكى إليه السهر فكتب إليه: يا أخى اذكر سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد. وإياك أن ينصرف بك هذا عن الله

عز وجل ويكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك، فقال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل. قال: فبكى هرون بكاء شديداً حتى غشي عليه، ثم قال: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله أمرني على إمارة. فقال له ياعم إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً، فافعل. فبكى هرون بكاء شديداً، وقال زدني رحمك الله.

فقال: ياحسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل. وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «من أصبح لهم غاش لهم لم يرح رائحة الجنة».

فبكى هرون وقال : عليك دين . قال : نعم دين لربى لم يحاسبنى عليه ، فالويل لى إن سألنى ، والويل لى إن ناقشني ، والويل لى إن لم ألهم حجتى . قال : إنما أعنى من دين العباد ، قال : إن ربى لم يأمرنى بهذا . وقد قال الله عز وجل (إن الله هو الرزاق) .

فقال له : هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك ، وتقوّ بها على عبادتك .

قال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ، سلمك الله ووفقك . ثم صمت ولم يكلمه فخرجنا من عنده .

فلما صرنا على الباب قال لى هرون : إذا دللتنى على رجل ، فدلني على مثل هذا . هذا سيد المسلمين

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت له : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال لفرّجت عنا

به . فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هرون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة . فجاء هرون فجلس إلى جانبه يكلمه ولا يجيبه . فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : ياهذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة . فانصرف رحمك الله ، فانصرفنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصايا نافعة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولغيره

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباط الإبل لكان قليلا . لا يرجونّ أحدكم إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد .

وقال أيضا : من أراد الغنى بلا مال، والكثرة بلا عشيرة، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

وقال الحسن : من خاف الله ، أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء .

وقال بعضهم : من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أخلص سريرته ، أخلص الله علانيته .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند موته ، حين استخلفه : أوصيك بتقوى الله فإن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين ، فمن ثقلت موازينه باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل وخفته

عليهم ،وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . وأن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا سمعت بهم قلت إنى أخاف أن لا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم ، فإذا سمعت بهم قلت إنى أخاف أن أكون من هؤلاء ،وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله غير الحق .

فإن حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ، وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أكره إليك من الموت ولن تعجزه .

ودخل الحسن بن أبى الحسن على عبد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ،فرآه يصوب بصره فى صندوق فى البيت ويصعده ثم قال أبا سعيد ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤدّ منها زكاة ولم أصل منها رحماً . قال ثكلتك أمك ولمن كنت تجمعها؟ قال :لروعة الزمان وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة ، قال:ثم مات فشهده الحسن فلما فرغ من دفنه . قال : انظروا

إلى هذا المسكين أتاه شيطانه فحذّره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، ومكاثرة عشيرته عما رزقه الله إياه وغمره فيه، انظروا كيف خرج منها مسلوباً محزوناً، ثم التفت إلى الوارث فقال: أيها الوارث . لا تخدعن كما خدع صُويحبك ، بالأمس أتاك هذا المال حلالا . فلا يكونن عليك وبالا . أتاك عفواً صفواً ممن كان له جموعاً منوعاً من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القفار ، لم تكدح فيه بيمين ولم يعرق لك فيه جبين ، إن يوم القيامة يوم ذو حسرات، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك فيالها عثرة لا تقال، وتوبة لا تنال .

وقال أبو الدرداء: يا أهل دمشق مالكم تبنون مالا تسكنون، وتؤملون مالا تدركون ، وتجمعون مالا تأكلون . هذه عاد وثمود قد ملؤا ما بين بُصْرَى وعدن ، أموالا وأولاداً فمن يشترى مني ما تركوا بدرهمين .

وقال ابن شبرمة : إذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام

ولا الشراب ، وإذا كان القلب مغرماً بحب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة .

وقال رجل لبعض الحكماء: لا يراك الله بحيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك .

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء: أما بعد فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره فليكن كلامك ذكراً. وصمتك فكراً، ونظرك عبراً، فإن الدنيا تتقلب، وبهجتها تتغير، فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام . فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك أما بعد : فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل وأن تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك ، ومن جفائك لمودتك ، واذكر حياة لا موت فيها في إحدى المنزلتين، إما في الجنة وإما في النار، فإنك لا تدري إلى أيهما تصير .

وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن غزوان عامله في البصرة

أما بعد : فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك وتأمر فينفذ أمرك.فيالها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتطغيك على من دونك،فاحترس من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة . وإياك أن تسقط سقطة لاتقوى لها ، وتعثر عثرة لا لعالها أى لا إقالة .

وكتب الحسن إلى عمر: أن فيما أمرك الله بهشغلاعما نهاك عنه .والسلام .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن أجمع لى أمر الدنيا وصف لى أمر الآخرة ، فكتب إليه:إنما الدنيا حلم والآخرة: يقظة والموت متيقظ ،ونحن فى أضغاث أحلام . من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا. ومن أطاع هواه ضل ، ومن عمل غنم ، ومن خاف سلم ،ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل. فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فاقلع ، وإذا جهلت فاسأل ،

وإذا غضبت فامسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه .

وقال حكيم لإبنه : يا بنى إنى موصيك بوصية فإن لم تحفظ وصيتى عنى لم تحفظها عن غيرى : اتق الله ما استطعت وإن قدرت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل . وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وعليك واليأس مما فى أيدى الناس فإنك لن تيئس من شىء إلا أغناك الله عنه ، وإياك وما يعتذر منه فإنك لن تعتذر من خير أبدا وإذا عثر عاثر ، فاحمد الله أن لا تكون هو ، يا بنى خذ الخير من أهله ودع الشر لأهله ، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع ، وأنت ترى أن لا تصلى بعدها

﴿ فائدة ﴾ قال رجل للرشيد يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها . قال : إن الله هو خير منك بأمانة القول لمن هو شر منى — قال لنبيه موسى إذ أرسله إلى فرعون : (فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى) .

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر رحمهما

الله تعالى يا أبت مالك لا تنفذ الأمور، فوالله لا أبالى فى الحق ولو غلت بى وبك القدور، قال له عمر «لا تعجل يا بنى فإن الله تعالى ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرّمها فى الثالثة وأنا أخاف الفتنة» .

اللهم صل وسلم على محمد النبي الكريم وآله وصحبه أجمعين وأرحم العلماء العاملين .

ومما قال حسان فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أغر عليه للنبـــوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى إسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من إسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

﴿ شروط كلمة الإخلاص ﴾

« فائدة »

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : العروة الوثقى هى لا إله إلا الله ومعناها لا معبود

بحق إلا الله وهى نفى وإثبات (لا إله) نفى (إلا الله) إثبات. وتحقيقها الموالاة والمعاداة. وأركانها ثلاثة: ـ ١ ـ نطق اللسان ٢ ـ وعمل بالأركان ـ ٣ ـ واعتقاد بالجنان. وشروطها سبعة: (الأول) العلم المنافى للجهل ـ (الثانى) الإخلاص المنافى للشرك ـ (الثالث) اليقين المنافى للشك (الرابع) القبول المنافى للرد (الخامس) الانقياد المنافى للترك (السادس) الصدق المنافى للكذب (السابع) المحبة المنافية لضدها وهى الكراهة.

فائدة

في تنزيه الأسماع عن الخنا كتنزيه اللسان عن النطق به
نقلها الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رحمهم الله.

الحمد لله رب العالمين. قال أحمد بن يحيي: خرج الشافعى يوماً من سوق القناديل فتبعناه. فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم. فالتفت الشافعى إلينا فقال: نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا. كما تنزهون عن النطق به. فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء فى وعائه فيحرص

أن يفرغه فى أوعيتكم ، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى قائلها .

وقال الشافعى : كتب حكيم إلى حكيم يقول : إنك قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم .

وقال رحمه الله : من قال إنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فقد كذب .

﴿ فصل فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء ﴾

قال رسول الله ﷺ : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . وقال عليه الصلاة والسلام : من أوتى علماً ولم يزدد زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً .

واعلم أن العالم بالخوض بالعلم يحرم السلامة . فإما الهلاك ، وإما الشقاء الأبدى .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فاحذروه .

وقال سفيان الثورى : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ، وعلماء الآخرة هم الذين لا يأكلون الدنيا بالدين ، ولا يبيعون الآخرة بالدنيا لما علموا من عز الآخرة وذل الدنيا ، ومن لم يعلم مضادة الدنيا للآخرة ومضرتها فليس من العلماء فإن أنكر ذلك فقد أنكر مادل عليه القرآن والأخبار وجميع الكتب المنزلة وجميع الأنبياء ، ومن علم ذلك ولم يعمل به فهو أسير الشيطان وقد أهلكته الشهوات وغلبت عليه شقوته ، ومن اقتدى به هلك ، وكيف يعد من العلماء وهذه درجته .

وقال فى مناجاة داود عليه السلام : ياداود أتدرى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى ، أن أحرمه لذيذ مناجاتى ، ياداود

لا تسألن عن عالم قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قطاع طريق عبادي .

ياداود : إذا رأيت طالباً فكن خادماً له . ياداود من رد إلى هارباً كتبته شهيداً ، ومن كتبته شهيداً لم أعذبه بالنار أبداً .

وكذلك قال الحسن : عقوبة العلماء موت القلوب، وموت القلوب طلب الدنيا بعمل الآخرة .

وقال عمر رضى الله عنه: إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب .

وكان يحيي بن معاذ الرازى يقول : ياعلماء الدنيا ياأصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية وأبوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية وأنشد :

وراع الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال عيسى عليه السلام:

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد

واعلم أن اللائق بالعالم المتدين أن يكون مطعمه وملبسه ومسكنه وجميع ما يتعلق بمعاشه فى الدنيا وسطاً. لا يميل إلى الترفه والتنعم، ولا يبالغ فى هذا الطرف وأن يبالغ فى طرف الزهد فيها.

وينبغى له أن يحترز من الدخول على السلاطين وأرباب الدنيا ما أمكنه حذر الفتنة.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة فى خوف الفتنة والأئمة المضلين

للشيخ حمد بن عتيق

من حمد بن عتيق إلى الأخ محمد بن عبد العزيز ابن ورثان.

ثلج الله صدره من الإيقان ، وأزال عنه شبه أهل الزيغ والخذلان. آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، موجب الخط إبلاغ السلام والسؤال عن حالك وخطاك وصل وصلك الله مايرضيه ، ونرجو أن الله يثيبك على التعزية، والميت لم يمت إلا بأجله المحتوم. رزقنا الله وإياكم الرضاء بالمقسوم ، ولكن والله ما بلغت مصيبتي بالإبنين معشار ما بلغ بي من المصيبة التي حلت بكثير من الإخوان من هذه المصيبة العظمى والفتنة المظلمة الشنعاء . بين ما لرجل يدعو إلى التوحيد ويحذر من أهل الشرك والتنديد . إذاهو منقلب على عقيبه وصار من حزب الضلال والدعوة إلى الإفك والمحال، ومن أسباب الشر أناس كانوا في خصائص الإخوان منهم من له مشاركة في العلم ، وآخر له عبادة ومحبة ، لكنهم عدموا البصيرة في الدين . فلما ابتلى أهل الإسلام بما أخبر به الصادق المصدوق من الفتن التي تغير القلوب . التبس عليهم الحق بالباطل ،وصاروا كسائر في ليلة ظلماء ليس لها نجوم، وصارت

محكمات القرآن عندهم كالشيء الذى لا حاصل له . نعوذ بالله من الخذلان حتى آل بعضهم أن يستدل بالقرآن على تحقيق زيغه وفتنته ، والأمر فى هذا يطول .

وتنبه أنت لمسألة ، وهى أن عندكم من يميل إلى عبد الله ابن فيصل ، ويدعو إلى توليته وولايته ، وقد جرى منا ماقد علمتم ، واطّلع غيركم على أمور لا تعلمونها . فمن ذلك أنى وجدت له خطاً كتبه إلى ولد أبابطين يقول فيه: أنت خابر أن الدولة غرضهم نفى الفساد من الأرض وتأمين السبل والرفق بالرعية ، هذا لفظه . ثم بعد ذلك ادعى أنه تاب. والله أعلم بسرائره .

ولما كان فى هذه الأيام فى جمادى الأخير، وصل إلى الأفلاج منه جملة خطوط أشرفت على ثلاثة منها بعث بها أناس يظن أنهم على رأيه ، وقد تبرؤا منه وأن خطوطه ممقوتة عند أهل التوحيد .

ومن لفظ خطوطه : إنا كاتبنا الدولة وفوضونا على

الإحساء والقطيف وغيرها ، فاحذروا بأسه وكونوا على علم ، وهذا جوابه نرجو الله أن يخذله وأن ينزل به بأسه الذى يتوعد به المسلمين .

فالقلب الذي يبقى فيه لهذا الرجل محبة وميلا إليه قلب مفتون، نعوذ بالله من ذلك .

فإن كان عبد الرحمن أبا الغنيمى عندكم فاعرضوا عليه هذا الكلام واسألوه عن قصة الشيخ محمد رحمه الله مع أخته فويقبه ، لأنه كثيراً ما يذاكرها ، وقولوا له أى الجنايتين على الإسلام أشد . جناية هذه المرأة التى جنايتها تختص بها . أم جناية من جر المشركين واستدعى بهم حتى نزلوا فى بلاد المسلمين، وأعلنوا فيها الشرك وجميع المعاصى ، وهو مع ذلك يزعم أنهم ينفون الفساد ويؤمنون ويرفقون بالرعية، فسبحان من طبع على قلوب من شاء من خلقه . فهذا يوجب للعبد أن يخاف على دينه وقلبه من مثل قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، ولولا ما نحن عليه من محبة الخير لمثل هؤلاء ، وإننى لكثير الدعاء لهم أن الله

يزيل الشبهات عن قلوبهم ، ويظهر فيها النور كما يظهر الصبح من الليل، لكان لنا قولا ثانياً . والمعارضة التي يلقونها من قيل سعود مما هو صدق ومما هو كذب لسنا منها في شيء لأنا لا ندعو إلا إلى طاعة الله وطاعة رسوله والتمسك بالكتاب والسنة .

ونحض على عداوة المشركين وعداوة من تبعهم ، ولما ظهر لنا من هذا الرجل النفرة منهم والحرص على جهادهم أولا ، فلما تنكر له أهل نجد وتركوا نصرته سعى في إبعادهم حتى بعث أخاه وابن عمه في ذلك ، والیناه على ذلك وأحببنا نصرته عليه ، واعتقدوا أنه الإمام في هذا الوقت الذى يجب السمع والطاعة له بالمعروف ، لا سيما وقد انقاد له عامة أهل نجد ودعوه إماماً لهم ، وما يجرى منه مما لا يجوز ليس بأكبر مما جرى الملوك قبله ، ولم يمنع ذلك من صحة إمامتهم .

ويكفى المسلم . لأن رأس القضية ظهور الفرق بين فتنة الظلم في الأموال ونحوها ، وفتنة الردة عن الإسلام والدعوة إلى الدخول في طاعة أهل الباطل والإنقياد لهم ، والذى لم

يفرق بين هاتين لا شك فى الطبع على قلبه واقرؤا عليه .

« يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » . فأخبر أن القتال فى الشهر الحرام كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل .

وإننا ما كتبنا هذا لك إلا رجاء من الله أن يبصرك فى الدين ، وتدارك نفسك قبل الموت . فإنى أخاف أن بعض الناس يموت على غير الإسلام بسبب هذه الفتنة .

اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، وأنت سالم ، والسلام .

٢١ / ٤ / ١٣٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

(فائدة من كلام أبى سليمان الدارانى)

« رحمة الله عليه »

قال : مفتاح الدنيا الشبع . ومفتاح الآخرة الجوع . وأصل كل خير فى الدنيا والآخرة الخوف من الله عزوجل . وأن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب . ولا يعطى الإيمان إلا من أحب خاصة ، ولأن أدع من عشائى لقمة أحب إلى من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره . كلما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم . إنما عصى الله من عصاه لهوانهم عليه ولو كرموا عليه لحجزهم عن معاصيه . إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق . وإذا شبعت ورويت عمى القلب .

ما يسرنى أن لى من أول الدنيا إلى آخرها أنفقها فى وجوه البر ، وأنى أغفل عن الله طرفة عين ، لو أن الدنيا كلها

فى لقمة ثم جاءنى أخ لى لأحببت أن أضعها فى فيه .

إذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها ، وإذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة . من حسَّن ظنه بالله ثم لا يخاف الله فهو مخدوع من صفَّى صفى له ومن كدَّر كدِّر عليه ومن كان يومه مثل أمسه ، فهو فى نقصان .

ومن كلام بلال بن سعد رحمة الله عليه ، إن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغيَّر ضرت العامة ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولكن لا يمحوها من الصحيفة وإن تاب .

ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غِرة : رب مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك وقد حق له فى كتاب الله أنه من أهل النار .

أخ لك كلما لقيك ذكَّرك بحظك من الله . خير لك من أخ كلما لقيك وضع فى كفك دينار . لا تنظر إلى صغر الخطيئة

ولكن انظر من عصيت . أمَّاما وكلكم به فتضيعون وأما ماتكفل لكم به فتطلبون ؛ ذوو عقول فى طلب الدنيا وبله ، عن ماخلقتم له كما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعة الله ، كذلك أشفقوا من عذاب الله بما تنتهكون من معاصيه .

إعلموا أنكم تعملون فى أيام قصار لأيام طوال وفى دار زوال لدار مقام ، وفى دار نصب لدار نعيم ومن لم يعمل على اليقين فلا يتبعنى.

« هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم أو أن شيئاً من ذنوبكم غفر لكم » .

ومن كلام يحيى بن معاذ رحمة الله عليه : الذى حجب الناس عن التوبة طول الأمل . وعلامة التائب إسبال الدمعة ، وحب الخلوة ، والمحاسبة للنفس عند كل همة .

اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرب منك بالقلوب، عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب ، ثم تطمع بالكواعب والأتراب .

ما أقواك لو خالفت هواك ليكن حظ المؤمنين منك ثلاث : إن لم تنفعه ، فلا تضره . وإن لم تفرحه فلا تغمه . وإن لم تمدحه فلا تذمه .

إلهى كيف أفرح وقد عصيتك، وكيف لا أفرح وقد عرفتك وكيف أدعوك وأنا خاطىء ، وكيف لا أدعوك وأنت كريم .

دواء القلب خمسة أشياء : (١) قراءة القرآن بالتدبر ، (٢) وخلاء البطن (٣) وقيام الليل (٤) والتضرع عند السحر (٥) ومجالسة الصالحين .

ليكن بيتك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك المناجاة . فإما أن تموت بدائك أو تصل إلى دوائك .

الناس ثلاثة : رجل شغله معاده عن معاشه ، ورجل شغله معاشه عن معاده ، ورجل مشتغل بهما جميعاً . فالأولى درجة الفائزين . والثانية درجة الهالكين ، والثالثة درجة المخاطرين .

ليس بعارف من لم تكن غاية أمله من ربه العفو .

مصيبتان للعبد لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما . فى ماله

عند موته يؤخذ عنه كله ويسأل عنه كله .

مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

لا يزال دينك متمزقا مادام قلبك بحب الدنيا متعلقاً . الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار نقى فلا تدنسه بآثامك .

أخوك من عرفك العيوب ، وصديقك من جذبك عن الذنوب . إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضى عنك، لولا أن العفو أحب الأشياء إليه ، ما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه .

الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها ، والآخرة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها .

عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ، كيف لا يحزن على نقصان دينه .

على قدر خوفك من الله يهابك الخلق ، وعلى قدر حبك لله يحبك الخلق ، وعلى قدر شغلك بأمر الله يشتغل بأمرك الخلق.

الزا منها والمقيل فى غيرها إن وضع علينا عدله لم تبق لنا حسنة ، وإن أتى فضله لم تبق لنا سيئة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فوائد جليلة من كتاب الفوائد ﴾

للعلامة ابن القيم

نجائب النجاة مهيأة للمراد ، وإقدام المطرود موثقة للقيود ، هبت عواصف الأقدار فى بيداء الأكوان ، فتقلب الوجود ونجم الخير فلما ركدت الريح ، إذا أبو طالب غريق فى لجة الهلاك وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه فى التيه ، وصهيب قد قدم بقافلة الروم، والنجاشى فى أرض الحبشة يقول: لبيك اللهم لبيك، وبلال ينادى :الصلاة خير من النوم .

وأبو جهل فى رقدة المخالفة ، لما تقدم فى القدم لبسابقة سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آبائه فى التمجس، فأقبل يناظر أباه فى دين الشرك ، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب إلا القيد ، وهذا جواب يتداوله أهل الباطل من يوم حرفوه، وبه أجاب فرعون وموسى لأن اتخذت إلها غيرى. وبه أجاب

الجهمية الإمام أحمد لما عرضوه على السياط . وبه أجاب أهل البدع شيخ الإسلام حين استودعوه السجن ، وها نحن على الأثر فنزل به ضيف (ولنبلونكم) فنال بإكرامه مرتبة سلمان منا أهل البيت ، فسمع أن ركباً على نية السفر فسرق نفسه من أبيه ولا قطع ، فركب راحلة العزم يرجو فى ذاك مطلب السعادة ، فغاص فى بحر البحث ليقع بدرة الوجود فوقف نفسه على خدمة الأدلاء .

« فصل »

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه ، وتملك الشيطان وقياد النفوس ، رأوا الدولة للنفس الأمارة لجؤا إلى حصن التضرع والالتجاء كما يأوى العبد المذعور إلى حرم سيده ، شهوات الدنيا كلعب الخيال ، ونظر الجاهل مقصور على الظاهر ، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر لاح لهم المشتهى ، فلما مدوا أيدى التناول بأن لا يضار البصائر خيط الفخ . فطاروا بأجنحة الحذر ، وصوبوا إلى الرحيل الثانى

ياليت قومى يعلمون ، تلمح القوم الوجود ففهموا المقصود ، فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل، وشمروا للسير فى سواء السبيل.

فالناس: مشغلون بالفضلات وهم مشتغلون فى قطع الفلوات، وعصافير الهوى فى وثاق الشبكة ينتظرون الذبح ، وقع ثعلبان فى شبكة فقال أحدهما للآخر: أين الملتقي بعد هذا ؟ فقال: بعد يومين فى الدباغة .

تا لله ما كانت الأيام إلا مناماً فاستيقظوا ، وقد حصلوا على الظفر ؛ ما مضى من الدنيا أحلام وما بقى منها أمانى ، والوقت ضائع بينهما ، كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه وولد لا يعذره ، وجار لا يأمنه وصاحب لا ينصحه وشريك لا ينصفه ، وعدو لا ينام عن معاداته، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا متزينة ، وهوى مرد، وشهوة غالبة له، وغضب قاهر وشيطان مزين، وضعف مستول عليه. فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها ، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه ، فكانت الهلكة لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة

والمحاكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك فساد فى فطرهم وظلمة فى قلوبهم. وكدر فى أفهامهم ومحق فى عقولهم. وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى ربى فيها الصغير، وهرم عليها الكبير فلم يروها منكراً.

فجاءتهم دولة أخرى أقامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم والرياء مقام الإخلاص والباطل مقام الحق والكذب مكان الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وصار أهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها وكان أهلها هم المشار إليهم.

فإذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت وراياتها قد نصبت وجيوشها قد ركبت، فبطن الأرض والله خير لك من ظهرها، وقلل الجبال خير من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس.

اقشعرت الأرض ، واظلمت السماء وظهر الفساد فى البر والبحر ، من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات وقلت الخيرات ، وهزلت الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح .

وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن ببلاء قد ادلهم ظلامه ، فأعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح مادامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح وكأنكم بالباب وقد أغلق ، وبالزهد وقد غلق ، وبالجناح وقد غلق ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة والثمن موجود والبضائع رخيصة وسيأتى على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير ذلك يوم التغابن يوم يعض الظالم على يديه .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى

وأبصرت يوم الحشر من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله　　وأنك لم تُرْصِدِ كما كان أرصدا

العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه ، إذا حملْتَ على القلب هموم الدنيا وأثقالها ، وتهاونت بأوراده التي هي قُوته وحياته، كنت كالمسافر الذي يحمل دابته فوق طاقتها ولا يوفيها علفها فما أسرع ما تقف به.

(شعرا)

ومشتت العزمات ينفق عمره　　حيران لا ظفر ولا إخفاق

هل السائق العجلان يملك أمره
فما كل سير اليعملات وخيد
رويداً بأخفاف المطى فإنما
تداس جبال تحتها وخدود

فائدة جليلة

كل من آثر الدنيا من أهل العلم على الآخرة واستحبها ، فلا بد أن يقول على الله غير الحق فى فتواه وحكمه فى خبره ، وإلزامه لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتى على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات، فإنهم لاتتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً ، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق ولاسيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ، ويثور الهوى فيخفى الصواب ، وينطمس وجه الحق .

وإن كان الحق ظاهراً لاخفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته ، وقال لى مخرج بالتوبة وفى هؤلاء وأشباههم قال تعالى: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) .

وقال تعالى فيهم أيضاً : (فخلف من بعدهم خلف ورثوا

الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه؛ وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك . أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه .

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها والآخرة

وإقبالها ودوامها وهؤلاء لابد أن يبتدعوا فى الدين مع الفجور فى العمل ، فيجتمع لهم الأمران . فإن اتباع الهوى يعمى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة . فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات . وهذه الآيات فيهم إلى قوله : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) .

هذا مثل عالم السوء الذى يعمل بخلاف علمه وتأمل ما تضمنته هذه الآية الكريمة من ذمه ، وذلك من وجوه أحدها : أنه ضل بعد العلم واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلا . وثانيها : أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها . ولو بقى منها شىء لم ينسلخ منها .

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: فأتبعه الشيطان، ولم يقل تبعه، فإن في معنى أتبعه أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى. ورابعها: أنه غوى بعد الرشد والغي الضلال في العلم والقصد وهو أخص بفساد القصد والعمل كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد. فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر وإن اقترنا فالفرق ما ذكر.

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه لأنه لم يرفع به فصار وبالا عليه فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خسة همته وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاد اللزوم على الدوام كأنه قيل: لزم الميل إلى الأرض. ومن هذا يقال: أخلد فلان بالمكان إذا

لزم الإقامة به قال مالك بن نويرة شعراً :

بأبناء حى من قبـــائل مالك
وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض لأن الدنيا هى الأرض وما فيها ، وما يستخرج منها من الزينة والمتاع .

وثامنها : إنه رغب عن هداه ، وأتبع هواه فجعل هواه إماما له يقتدى به ويتبعه .

وتاسعها : أنه سبحانه شبهه بالكلب الذى هو أخس الحيوانات همة وأسقطها نفساً وأبخلها ، وأشدها كلباً ولهذا سمى كلباً .

وعاشرها : أنه شبه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها ، وحرصه على تحصيلها يلهث الكلب فى حالتى تركه والحمل عليه بالطرد . وهكذا هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا وإن وعظ وزجر فهو كذلك ، فاللهث لا يفارقه فى كل حال كلهث الكلب .

« وقال ابن قتيبة » كل شىء يلهث فإنما يلهث من أعياء أو

عطش إلا الكلب فإنه يلهث فى حال الكلال وحال الراحة وحال الرى وحال العطش، فضرب به الله مثلا لهذا الكافر فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث. وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث وذلك أخس ما يكون وأشنعه.

فصل

الدراهم أربعة: درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج فى حق الله، فذلك خير الدراهم، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج فى معصية الله فذلك شر الدراهم ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج فى أذى مسلم فهو كذلك، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق فى شهوة مباحة. فذلك لا له ولا عليه.

هذه أصول الدراهم وعليها دراهم أخر منها: درهم اكتسب بحق وأنفق فى باطل، ودرهم اكتسب بباطل وأنفق فى حق، فإنفاقه كفارته، ودرهم اكتسب من شبهة، فكفارته أن ينفق فى طاعة.

وكما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذم بإخراج الدرهم، فكذلك يتعلق باكتسابه، وكذلك يسأل عن مستخرجه ومصروفه من أين اكتسبه وفيما أنفقه .

فصل

المواساة للمؤمنين أنواع : مواساة بالمال ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع .

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة ، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوى قويت .

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب إتباعهم له ودخلوا على أبا نصر في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض . فقالوا : ما هذا يا أبا نصر؟ فقال : ذكرت الفقراء وبردهم وليس لى ما أواسيهم به ، فأحببت أن أواسيهم في بردهم . والله أعلم .

فصل

من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد فى علمه زيد فى تواضعه ورحمته، وكلما زيد فى عمله زيد فى خوفه وحذره.

وكلما زيد فى عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد فى سخائه وبذله وكلما زيد فى قدره وجاهه زيد فى قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم

﴿فائدة جليلة — الشقاوة﴾

وعلامات الشقاوة: أنه كلما زيد فى علمه زيد فى كبره وتيهه. وكلما زيد فى عمله زيد فى فخره واحتقاره للناس، وحسن ظنه بنفسه. وكلما زيد فى عمره زيد فى حرصه، وكلما زيد فى ماله زيد فى بخله وإمساكه، وكلما زيد فى قدره وجاهه زيد فى كبره وتيهه.

وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلى بها عباده فيسعد بها. أقوام ويشقى بها أقوام وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء، كالملك والسلطان والمال.

قال تعالى : عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر) فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور ، كما أن المحن بلوى منه سبحانه فهو يبتلى بالنعم كما يبتلى بالمصائب

قال تعالى : (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا » .

أى ليس كل من وسعت عليه وأكرمته ونعمته يكون ذلك إكراماً منى له ، ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته يكون ذلك إهانة منى له . والله أعلم .

فصل

إذا عزم العبد على السفر إلى الله تعالى ، وإرادته عرضت له الخوادع والقواطع فينخدع أولا بالشهوات والرياسات والملاذ

والمناكح والملابس ، فإن وقف معها انقطع وإن رفضها ولم يقف معها وصدق فى طلبه . ابتلى بوطء عقبه ، وتقبيل يده والتوسعة له فى المجلس والإشارة إليه بالدعاء ورجاء بركته ونحو ذلك .

فإن وقف معه انقطع به عن الله وكان حظه منه ، وإن قطعه ولم يقف معه ابتلى بالكرامات والكشوفات ، فإن وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظه ، وإن لم يقف معها ابتلى بالتجريد والتخلى ولذة الجمعية وعزة الوحدة والفراغ من الدنيا .

فإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود وإن لم يقف معه وسار ناظر إلى مراد الله منه وما يحبه بحيث يكون عبده الموقوف على محابه ومراضيه أين كانت وكيف كانت تعب بها أو استراح تنعم أو تألم . أخرجته إلى الناس أو عزلته عنهم لا يختار لنفسه غير ما يختاره له وليه وسيده واقف مع أمره ينفذه بحسب الإمكان ونفسه عنده أهون عليه أن يقدم راحتها ولذتها على مرضاة سيده وأمره . فهذا هو العبد الذى

قد وصل ونفذ ولم يقطعه عن سيده شيء البتة ، وبالله التوفيق ، وصلى الله على محمد.

فصل

خلق بدن ابن آدم من الأرض وروحه من ملكوت السماء ، وقرن بينهما فإذا أجاعه وأسهره وأقامه فى الخدمة وجدت روحه خفة وراحة، فتاقت إلى الموضع الذى خلقت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوى، وإذا أشبعه ونعمه ونومه واشتغل بخدمته وراحته أخلد البدن إلى الموضع الذى خلق منه فانجذبت الروح معه فصارت فى السجن فلولا أنها ألفت السجن لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذى خلقت منه كما يستغيث المعذب .

وبالجملة: فكلما خف البدن لطفت الروح وخفت وطلبت عالمها العلوى، وكلما ثقل وأخلد إلى الشهوات والراحة ثقلت الروح وهبطت من عالمها وصارت أرضية سفلية، فترى الرجل روحه فى الرفيق الأعلى وبدنه عندك فيكون نائماً على فراشه

وروحه عند سدرة المنتهى ، تجول حول العرش ، وآخر واقف فى الخدمة ببدنه وروحه تجول حول السفليات .

فإذا فارقت الروح البدن التحقت برفيقها الأعلى أو الأدنى ، فعند الرفيق الأعلى كل قرة عين وكل نعيم وسرور وبهجة ولذة وحياة طيبة .

وعند الرفيق الأسفل : كل هم وغم وضيق وحزن وحياة نكدة ومعيشة ضنك .

قال تعالى : «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا»

فذكره كلامه الذى أنزله على رسوله ﷺ والإعراض عنه ، ترك تدبره والعمل والمعيشة الضنك . فأكثر ماجاء فى التفسير ، أنها عذاب القبر . قاله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وابن عباس ، وفيه حديث مرفوع وأصل الضنك فى اللغة الضيق والشدة وكل ماضاق فهو ضنك ، يقال : منزل ضنك وعيش ضنك ، فهذه المعيشة الضنك فى مقابلة

التوسيع على النفس والبدن بالشهوات واللذات والراحة .

فإن النفس كلما وسعت عليها ضيقت على القلب حتى تصير معيشة ضنكا ، وكلما ضيقت عليها وسعت على القلب حتى ينشرح وينفسح .

فضنك المعيشة فى الدنيا بموجب التقوى سعتها فى البرزخ والآخرة وسعة المعيشة فى الدنيا بحكم الهوى ضنكها فى البرزخ والآخرة. فآثر أحسن المعيشتين وأطيبها وأدومها، وأشق البدن بنعيم الروح ولا تشق الروح بنعيم البدن فإن نعيم الروح وشقاءها أعظم وأدوم ، ونعيم البدن وشقاؤه أقصر وأهون ، والله المستعان العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم. فترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يقم بالفريضة .

فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه، وصفات كماله ونعوت جلاله .

فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها .

وقد قال يحيى بن معاذ : طلب العاقل الدنيا خير من ترك الجاهل لها ، العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الإجابة ، والزاهد يدعوهم إلى الله ويترك فتشق عليهم الإجابة .

فإن الفَطَام عن الثدى الذى ما عقل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه شديد ولكن تخير من المرضعات أزكاهن وأفضلهن، فإن للبن تأثيراً فى طبيعة المرتضع ورضاع المرأة الحمقى يعود بحمق الولد وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة،فإن قويت على مرارة الفَطَام وإلا فارتضع بقدر . والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

التهنئة للمسلمين وإمامهم فى فتح الطائف ومكة
لما فتحها الله على يد الإخوان أهل الغطغط وإخوانهم

شعرى

قال الشيخ محمد بن عثمان الشاوى القصيمى :

لك الحمد اللهم يا خير واهب ... ويا خير مرجو لنيل المآرب
ويا خير من يرجى لكشف ملمة ... ويا خير من يسدى العطـــا والمواهب
لك الحمد حمداً يملأ الأرض والسماء ... ويملأ ما بين الثرى والكواكب
لك الحمد كل الحمد إذ كنت أهله ... على نعم تربو على عد حاسب
على كبت أحزاب الضلالة والردى ... ومحق لصنديد كفور مشاغب
وكسر لأوثان وهدم مشاهد ... يلوذ بها الكفار من كل ناكب
ويدعونها حباً وخوفاً وخشية ... وهذا لعمرى من كبير المصائب
بلا كان ذا نقضاً لدين محمد ... نبى الهدى ختم الكرام الأطايب
وهذا هو الإشراك بالله وحده ... فأعظم به نكراً وخيم العواقب
فسرنا بحمد الله والشكر والثناء ... على المنهج الأسنا أجل المطالب

جهاد ذوى الإشراك حرب ذوى التقا
جنود حسين من أتى بالمعائب
وكانوا لدى حصن طويل ممنع
لديهم من العدات أهبة حارب
فزعزعهم ربى وشتت شملهم فما بين مقتول وما بين هارب
وما بين مجدول على أم رأسه وما بين مكلوم شديد المعاطب
ترى الطير مع غُرث السباع عصائبا
تنوبهمو من كل قطر وجانب
وأورثنا ربى ديار ذوى الردى وأموالهم رغماً على أنف غاضب
بأيدى ذوى بأس شداد أعزة خلا إنهم للصحب أهل تحابب
جحاجح فى الهيجا مراويع فى الوغا
بأيدهمو بيض الرقاق المضارب
على عارفات للطعان عوابس بهن كُلوم بين دام وجالب
إذا استُنزِلُوا عنهن للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
فهم يتساقون المنية بينهم يرون لقاها من كبير المكاسب
نفوس لهم كانت لديهم ثمينة وقد أرخصوها فى قتال المحارب
ومن بعد ذا سرنا على من تألبوا وصدوا لوفد الله أكرم نائب
ولكنهم فى بلدة ومحلة بهابيت رب العرش أغلب غالب

فلا يُرتضى فيها قتال وفتنة بذا قد أتى نص بأعلا المراتب
ولكن مولانا الكريم بفضله
أزال العدا من غير ضرب القواضب
فخامرهم رُهب شديد فأرجفوا وفروا سراعاً من جميع الجوانب
فلما تحققنا وطاب لنا المنى
بفضل ولى الفضل مسدى المواهب
دخلنا نلبى حاسرين رؤوسنا
وطفنا بذى الأنوار بين الأخاشب
دعونا وكبرنا على المرو والصفا
وتلك البقاع النيرات الأطائب
ووالله لم نسفك دماء ولم يكن سوى الحرم العالى لنا من مأرب
مع الهدم للاوثان والشرك والردى
وتجويدنا التوحيد أوجب واجب
فشكراً لمن أسدى الجميل بصنعه فتلك لعمرى من عجيب العجايب
فيا أيها المزجى ذبولا عرندساً عذافرة تطوى طويل السباسب
إذا ما رأت للسوط ظلا رأيتها كقائدة الأرام ريعت بطالب
تحمل هديت الخير منى تحية إلى ملك سامى الذرى والمناقب
وقل بعد تسليم مع البعد والنوى
ليهنك يا ابن الأمجدين الأطائب

بلوغ المنى والفوز بالعز والهنا وفتح لدارالوحى جل المطالب
فأم القرى تدعوك قد مسها الضنا
وقد مرضت من فعل طاغ وناكب
أتتك تجر الذيل هيفا مليحة معندمة الخدين أجمل كاعب
وقد عزفت عن كل بعل وخاطب
لأجلك يا ابن الأمجدين الأطائب
فهيئ لها مهراً من البر والتقى وطهر حماها جميعا من المعائب
وحكم بها شرع الإله ودينه تنل من إله العرش أسنى المطالب
وكن شاكراً لله جل ثناؤه فقيد الأيادى شكر مسد وواهب
ومن مبلغ عنى حسيناً وفيصلا وأعوانهم من كل قدم وعائب
بأنا بحمد الله لا رب غيره على منهج المختار ختم الأطائب
فلا ندعو إلا الله جل جلاله تقدس عن ند وقول لكاذب
وندعو إلى التوحيد سراً وجهرة إلى أن يكون الدين خال الشوائب
ونأمر بالتقوى وننهى عن الردى وندعوا لحج البيت لا فعل كاذب
ومن صد عن هذا تمرد واعتدى سنسقيه كأساً من سموم العقارب
ونلقمه صخراً ونشدخ رأسه إلى أن يُرى لله أول آيب
وقل للعدى فى كل قطر وجانب بكل النواحى عجمها والأعارب

أنيبوا وإلا فاستعدوا واجمعوا لبيض وفرسان وجرد شوازب
جنود تريكم فى ضياء الشمس ظلمة ترى البيض فيها كالنجوم الثواقب
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
تلازمهم حتى يغرن مغارهم من الضاريات بالدماء الدوارب
هموا معشر الإخوان دام سرورهم ولا سر من يرميهمو بالمعائب
لهم أسوة فى فعل صحب نبيهم وهمتهم مصروفة فى العواقب
فيارب يا منان يا من له البقاء ويا خير من يرجى لنيل المآرب
أعذهم من الإعجاب مع كل فتنة وثبتهمو يارب يا خير واهب
وصلى إلهى ما تألق بارق وما انهل ودق من خلال السحائب
وما طلعت شمس وما حن راعد على السيد المختار من نسل غالب
كذا الآل والأصحاب مع كل تابع وتابعهم ماضاء نور الكواكب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام «محمد بن عبدالوهاب» فى جواب له. قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى « الأعلام» :

واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض. وقال عمرو بن ميمون سمعت ابن مسعود يقول : عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة. وسمعته يقول : سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها. فصل الصلاة وحدك (وهى الفريضة) ثم صل معهم فإنها لك نافلة. قلت يا أصحاب محمد : ما ما أدرى ما تحدثون؟ قال وماذاك قلت تأمرنى بالجماعة ثم تقول: صل الصلاة وحدك. قال يا عمر بن ميمون ، لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية ؟ أتدرى ما الجماعة قلت لا . قال : الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة - قبل أن تفسد الجماعة - فإنك يومئذ أنت الجماعة.

وقد شذ الناس كلهم فى زمن أحمد بن حنبل ، إلا نفراً يسيراً . فكانوا هم الجماعة . وكانت القضاة والفقهاء والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم الشاذون . ولما لم تحتمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة : يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل وأحمد وحده على الحق . فلم يحتمل ذلك فأخذ بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل ، فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين :

وكتب سفيان الثورى إلى أخيه عباد بن عباد : السلام عليك . أما بعد : فاعلم يا أخى أنك فى زمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله أن يدركوه ولهم من العلم ماليس لنا . فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وقلة فقه وقلة صبر وقلة أعوان على الخير ، وكثير من الدنيا وفساد من الناس ،

فعليك ياأخى بالأمر الأول تمسك به ، وعليك بالخمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فإن الناس فيما مضى إذا التقوا ينفع بعضهم بعضاً . أما اليوم فقد ذهب ذلك كله فالنجاة فى تركهم. وإياك والأمراء أن تجالسهم أو تدنو منهم ولو فى شىء قليل . وإياك وفتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون : إياك وإياك أن تكون ممن يحب أن يؤخذ بقوله أو يعمل بقوله وإياك وحب الرياسة فإنها ربما أن تكون الرياسة أحب إلى الرجل من الذهب والفضة . وهو باب غامض لا يفطن له إلا سماسرة العلماء . فتفقد نفسك ياأخى، واعمل بنية وحسبة واعلم أنه قد دنى من الناس أمور وفتن، يحب الرجل أن يموت قبلها والسلام. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتاب الصلاة :

فصل

قال : المكملون للصلاة أهلا وسهلا بكل ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وهل ندندن إلا حوله

الإقتداء به ، ومتابعته ومتابعة هديه وسنته ؟ ولا نضرب سنته بعضها ببعض ، ولا نأخذ منها ماسهل ونترك منها ماشق. علينا لبكسل وضعف عزيمةواشتغال بدنيا قدملأت القلوب ، وملكت الجوارح ، وقرت بها العيون ، بدل قرتها بالصلاة ؛ فصارت أحاديث الرخصة فى حقها شبهه صادفت شهوة ، وفتوراً فى العزم وقلة رغبة فى بذل الجهد فى النصيحة فى الخدمة ، واستسهلت حق الله تعالى وجعلت كرمه وغناه من أعظم شبهاتها فى التفريط فيه وإضاعته وفعله بالهوينا تحلة القسم. ولهجت بقولها ما استقصى كريم حقه قط . ويقولها : حق الله مبنى على المسامحة والمساهلة والعفو . وحق العباد مبني على الشح والضيق والاستقصاء ، فقامت فى خدمة المخلوقين كأنها على الفرش الوثيرة والمراكب الهنية ، وقامت فى حق خدمة ربها وفاطرها كأنها على الجمر المحرق . تعطيه الفضلة من قواها وزمانها وتستوفى لأنفسها كمال الحظ . ولم يحفظ من السنة إلا « أفتان أنت يامعاذ » و « أيها الناس إن منكم منفرين » ووضعه الحديث على غير موضعه ، ولم يتأمل ما قبله وما بعده

ومن لم تكن قرة عينه فى الصلاة ونعيمه وسروره ولذته فيها وحياة قلبه وانشراح صدره ، فإنه لايناسبه إلا هذا الحديث وأمثاله بل لا يناسبه إلا صلاة السراق والنقارين فنقرة الغراب أولى به من استفراغ وسعه فى خدمة رب الأرباب. وحديث «أفتان أنت يامعاذ» الذى لم يفهمه أولى به من حديث: كانت صلاة الظهر تقام فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتى أهله فيتوضأ ثم يدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة الأولى — وحديث صلاته صلى الله عليه وسلم الصبح بالمعوذتين، وكان هذا فى السفر أولى به من حديث صلاته فى الحضر بمئة آية إلى مئتين — وحديث صلاته صلى الله عليه وسلم المغرب بقل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، الذى انفرد ابن ماجه بروايته أولى به من الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فيها بطولى الطولين وهى الأعراف . فهو يميل من السنة إلى ما يناسبه ويأخذ منها بما يوافقه . ويتلطف لمن خشن فى تأويل ما يخالفه ودفعه بالتى هى أحسن .

ونحن نبرأ إلى الله من سلوك هذه الطريقة ، ونسأله أن يعافينا مما ابتلى به أربابها بل ندين الله بكل ماصح عن رسوله ولا نجعل بعضه لنا وبعضه علينا فنقر مالنا على ظاهره ونتأول ما علينا على خلاف ظاهره ، بل الكل لنا لا نفرق بين شيء من سننه ، بل نتلقاها كلها بالقبول ونقابلها بالسمع والطاعة ونتبعها أين توجهت ركائبها . وننزل معها أين نزلت مضاربها فليس الشأن الأخذ ببعض سنة رسول الله ﷺ وترك بعضها ، بل الشأن فى الأخذ بجملتها . وتنزيل كل شيء منها منزلته ووضعه بموضعه .

فنقول وبالله التوفيق : الإيجاز والتخفيف المأمور به والتطويل المنهى عنه ، لا يمكن أن يرجع فيه إلى عادة طائفة وأهل بلد وأهل مذهب ولا إلى شهوة المأمومين ورضاهم . ولا إلى اجتهاد الأئمة الذين يصلون بالناس ورأيهم فى ذلك . فإن ذلك لا ينضبط وتضطرب فيه الآراء والإرادات أعظم اضطراب ، ويفسد وضع الصلاة ، ويصير مقدارها تبعاً لشهوة الناس ، ومثل هذا لا تأتى به شريعة بل المرجع فى ذلك والتحاكم

إلى ما كان يفعله من شرع الصلاة للأمة وجاءهم بها من عند الله وعلمهم حقوقها وحدودها وهيآتها وأركانها . وكان يصلى وراءه الضعيف والكبير والصغير وذو الحاجة ولم يكن بالمدينة إمام غيره صلوات الله وسلامه عليه . فالذى كان يفعله صلوات الله وسلامه عليه (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقد سئل بعض أصحاب رسول الله ﷺ . فقال: مالك فى ذلك من خير فأعادها عليه فقال: كانت صلاة الظهر تقام فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتى أهله فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة الأولى مما يطولها . رواه مسلم فى الصحيح ، وهذا يدل على أن الذى أنكره أبو سعيد وأنس وعمران بن الحصين والبراء ابن عازب إنما هو حذف الصلاة . والإختصار فيها والاقتصار على بعض ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ولهذا لما صلى بهم أنس قال: إنى لا آلو أن أصلى بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ثابت: فكان أنس يصنع شيئاً لا أراكم

تصنعونه . كان إذا انتصب قائماً يقوم حتى يقول القائل قد أوهم. وإذا جلس بين السجدتين مكث حتى يقول القائل قد أوهم . فهذا مما أنكره أنس على الأئمة حيث كانوا يقصرون هذين الركنين كما أنكر عليهم تقصير الركوع والسجود ، وأخبرهم أن أشبههم صلاة برسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز ، فحزروا تسبيحه في الركوع والسجود عشراً عشراً . ومن المعلوم أنه لم يكن يسبحها هذا سراعاً من غير تدبر ، فحالهم أجل من ذلك . انتهى. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن القيم أيضا فى كتاب الصلاة:

فصل

« فى الحكم بين الفريقين وفصل الخطاب بين الطائفتين »

معرفة الصواب فى هذه المسألة مبنى على معرفة حقيقة الإيمان والكفر، ثم يصح النفى والإثبات بعد ذلك. فالكفر والإيمان متقابلان إذا أزال أحدهما خلفه الآخر. ولما كان الإيمان وصلاً له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيماناً.

فالصلاة من الإيمان. وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهى هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان. وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزواله كشعبة الشهادة ومنها مالا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً،

منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب . ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب . وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر . والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر .

والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر . والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان .

وشعب الإيمان قسمان : قولية وفعلية . وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية وفعلية ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان . وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية ،

فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر إختياراً وهى شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والإستهانة بالمصحف فهذا أصل.

وها هنا أصل آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: — قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء. فإن تصديق القلب شرط فى إعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق: فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة. فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سراً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده الذى هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت . ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان . فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه . وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والإنقياد . وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه . والعمل بموجبه ، وإن سمى الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء ، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمى تصديقاً فليس هو التصديق المستلزم الإيمان، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين :

قال ابن هشام في كتاب سيرة الرسول ﷺ : قال ابن إسحاق :

خرج ستة نفر من المدينة يريدون الحلف من قريش بمكة، فلما قدموا مكة سمعوا برسول الله ﷺ قد بعث فقالوا : لو أتينا هذا الرجل فأتوه. فقال لهم رسول الله ﷺ : ألا أدلكم على خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذاك قال : تؤمنون بالله ورسوله، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام وقرأ عليهم القرآن فأسلموا. ثم أرسل معهم مصعب بن عمير يعلمهم الإسلام ويقرؤهم القرآن بالمدينة. فلما قدموا المدينة كان أسعد بن زرارة ومصعب في حائط رجل منهم يعلمان الناس الإسلام ويقرءانهم القرآن، فلما كان ذات يوم قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك يا أسيد أن تأتي هؤلاء الرجلين يغشيانا في ديارنا ويسفّهان

ضعفاءنا . فلولا ما بيني وبين أسعد من القرابة لعلمت ما أصنع.
فقام أسيد فأخذ حربته ومشى عامداً إليهما فلما أقبل عليهما قال
أسعد بن زرارة لمصعب : جاءك سيد قومه فأصدق الله فيه .
فقال مصعب : إن يجلس أكلمه. فقال ما جاء بكما تغشيانا في
ديارنا وتسفهان ضعفاءنا ؟ فقال له مصعب : أو تجلس وتسمع
فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته صرفنا عنك ما نكره .
قال : ما أحسن هذا فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه
القرآن ، فقال: ما أحسن هذا وأجمله. كيف تصنعون إذا أنتم
أسلمتم وأردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا: تطهر وتطهر ثوبيك
وتشهد شهادة الحق. فقال: وتطهر وطهر ثوبيه وشهد شهادة
الحق، ثم قال: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه من قومه
أحد. ثم أخذ حربته ومشى عامداً إلى نادي قومه فلما
أقبل عليهم قالوا : نحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي
ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال له سعد : ما فعلت ؟
قال: جئت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً ولكني حدثت

أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخذلوك . ثم أخذ الحربة من يد أسيد ثم قال : ما أراك أغنيت شيئاً ثم مشى عامداً إليهما فلما رآهما مطمئنان عرف سعد أن ما أراد أسيد أن يسمع منهما. فلما أقبل عليهما قال أسعد بن زرارة لمصعب : جاءك سيد من ورائه فأصدق الله فيه .

فقال مصعب : إن يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتماً قال : ما جاء بكما تغشيانا فى ديارنا وتسفهان ضعفاءنا . فلولا ما بينى وبينك من القرابة لعلمت ما أصنع، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن . فقال ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم وأردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالوا : تطهر وتطهر ثوبيك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين ، فقام وتطهر وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق . ثم أخذ حربته ومشى عامداً إلى

نادى قومه فلما أقبل عليهم قالوا : نحلف بالله لقد جاءكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة ، فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة إلا قبيلة من بني الحارث كان بهم شاعر فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم أسلم الشاعر رضى الله عنه فقال:

فلولا ربنـا كنا يهوداً ... ومادين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنـا نصارى ... مع الأحبار فى جبل الخليل
ولـكنا خلقنا إذ خلقنـا ... حنيف ديننا عن كل جيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال ابن هشام فى السيرة، قال إبن إسحاق : لما قتل الله من قتل من صناديد قريش فى يوم بدر ألقى أكابرهم فى قليب بدر، ثم وقف عليهم من الليل فقال: يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً. يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس، وطردتمونى وآوانى الناس. وخذلتمونى ونصرنى الناس، يا أهل القليب ياعتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا نبيها ومنبهاً ابنى الحجاج، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا. فيقول أصحابه: يا رسول الله أتكلم قوماً قد جيفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع منهم لى ولكنهم لا يجيبون، فقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب

كخط الوحى فى الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جون — من الوسمى منهمر سكوب

فأضحى رسمها خلقاً وأمست — يباباً بعد ساكنها الحبيب

فدع عنك التذكر كل يوم — ورد حرارة الصدر الكئيب

وحدث بالذى لا عيب فيه — بصدق غير إخبار الكذوب

بما صنع المليك غداة بدر — لنا فى المشركين من النصيب

غداة كأن جمعهم حراء — بدت أركانه جنح الغروب

فلاقيناهم منـا بجمع — كأسد الغاب مردان وشيب

أمام محمد قد وازروه — على الأعداء فى لفح الحروب

بنو الأوس الغطارف وازرتها — بنو النجار فى الدين الصليب

فغادرنا أبا جهل صريعاً — وعتبة قد تركنا فى الجبوب

وشيبة قد تركنا فى رجال — ذوى حسب إذا نسبوا حسيب

يناديهم رسول الله لما — قذفناهم كباكب فى القليب

ألم تجدوا كلامى كان حقاً — وأمر الله يأخذ بالقلوب

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأى مصيب

وكان أبو جهل قبل الوقعة يقول : —

ما تنقب الحرب العوان منى بازل عامين حديث سنى

لمثل هذا ولدتنى أمي

وقال ابن إسحق : —

خرج ستة نفر من المدينة يرون الحلف من قريش بمكة ، فلما قدموا مكة سمعوا برسول الله ﷺ قد بعث فأتوه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ألا أدلكم على خير مما جئتم له . قالوا : وماذاك ؟ قال : تؤمنون بالله ورسوله . فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام وقرأ عليهم القرآن . فأسلموا فأرسل معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يعلمهم الإسلام ويقرئهم القرآن . فلما قدموا المدينة كان أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير فى حائط رجل من الأنصار يعلمان الناس الإسلام ويقرءانهم القرآن .

فلما كان ذات يوم قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير :

لا أبالك يا أسيد أن تأتى هذين الرجلين يغشيانا فى ديارنا ويسفهان ضعفاءنا . فلولا ما بينى وبين أسعد من القرابة لعلمته ما أصنع. فقام أسيد وأخذ حربته ومشى عامداً إليهما فلما أقبل عليهما، قال أسعد بن زرارة لمصعب : جاءك سيد قومه فأصدق الله فيه. فقال مصعب: إن يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتماً قال: ما جاء بكما تغشيانا فى ديارنا وتسفهان ضعفاءنا. فقال له: مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال : أنصفت . فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن . فقال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم وأردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالوا : تطهر وتطهر ثوبيك وتشهد شهادة الحق، فقام وتطهر وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم قال: إن ورائى رجل إن أتبعكما لم يتخلف عنه من قومه أحد ـ يعنى سعد ابن معاذ رضى الله عنه ـ ثم أخذ حربته ومشى عامداً إلى نادى قومه فلما أقبل عليهم قالوا : نحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير

الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال له سعد : مافعلت؟ قال: جئت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا ولـكني حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك . فقال سعد : ما أراك أغنيت شيئاً . فقام سعد مغضباً وأخذ حربته ومشى عامداً إليهما فلما أقبل عليهما فإذا هما مطمئنان فعرف سعد أنما أراد أسيد أن يسمع منهما، فقال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : جاءك سيد من وراءه فأصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال :ما جاء بكما تغشيانا ديارنا وتسفهان ضعفاءنا. فلولا ما بيني وبينك من القرابة لعلمت ما أصنع. فقال له مصعب بن عمير : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال: أنصفت .فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن . فقال ما أحسن هذا الكلام وأجمله . كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم . وأردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا: تطهر وتطهر ثوبيك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين.

فقام وتطهر وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قام وأخذ حربته ومشى عامداً إلى نادى قومه . فلما أقبل عليهم قالوا : نحلف بالله لقد جاءكم سعد بغير هذا الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة إلا قبيلة من بنى الحارث كان بهم شاعر فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ . ومضى بدر وأحد والخندق ثم أسلم الشاعر رضى الله عنه فقال:

فلولا ربنا كنا يهوداً ... وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الأحبار فى جبل الخليل
ولكنا خلقنا إذ خلقنا ... حنيف ديننا عن كل جيل

بسم الله الرحمن الرحيم

كمال الشريعة

وشمولها لكل ما يحتاجه البشر

الحمد لله وأشكره على نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد. فهذه كلمة تبين كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر. لا يخفى أن والله بعث نبيه محمداً ﷺ إلى البشر رحمة منه وإحساناً، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم. وكانت العرب قبل بعثته (ﷺ) في جاهلية جهلاء وشقاء يعبدون الأصنام ويئدون البنات، ويسفكون الدماء بأدنى سبب وبلا سبب، في ضيق من العيش وفي نكد وجهد من الحياة، يعيشون عيشة الوحوش ومع الوحوش يتحاكمون إلى الكهان والطواغيت، فلما جاء الله بهذا النبي

الكريم أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ، أخرجهم من ظلمة الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد ، ومن ظلمة الجهل والطيش إلى نور العلم والحلم ، ومن ظلمة الجور والبغض إلى نور العدل والإحسان، ومن ظلمة التفرق والاختلاف إلى نور الاتفاق والوئام، ومن ظلمة الأنانية والاستبداد إلى نور التواضع والتشاور ،ومن ظلمة الفقر والجهد إلى نور الغنى والرخاء. بل أخرجهم من ظلمة الموت إلى نور الحياة السعيدة (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أكمل الله به الدين وتمم به مكارم الأخلاق أمر بعبادة الله وحده لا شريك له وأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والمعوزين حتى قال (ص) «إن الله كتب الإحسان على كل شيء وأمر بالتحاكم فيما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله» لا خيراً لأول الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه أخبر بما كان وما يكون إلى يوم القيامة . كما قال حذيفة

رضى الله عنه . قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. وقال أبو ذر رضى الله عنه: لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال - لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما، رسم لأمته طريق السعادة فى الدنيا والآخرة فى سياسته الشرعية التى يعجز كل أحد أن يأتى بناحية من نواحيها فرسم لهم طريق السياسة مع الأعداء، وبين لهم ما تعامل به الأمم الأجنبية من الحرب ووجوبه والسلم ووجوبه والمعاهدات والصلح وحفظ العهود، وأوجب عليهم الاستعداد بكل قوة يستطيعونها قال الله تعالى :

(فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون. وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به

عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون. وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم).

ففي هـذه الآيات دلالة واضحة على مقتضيات الحرب والاستعداد لذلك وتأهب المسلمين بالقوة لعدوهم بما يرهبهم وبيان الصلح والسلم، إلى غير ذلك مما دلت عليه هذه الآيات من آي القرآن.

كما قسمت الشريعة أيضاً السياسة إلى ثلاث أقسام:

سياسة شرعية دينية.

سياسة جائزة مباحة.

سياسة شيطانية فرعونية إبليسية.

فالسياسة الشرعية الدينية هي ما دل عليه الكتاب والسنة من قتل القاتل وقطع يد السارق، وإقامة الحدود: كحد الزنا

والقذف وحد المسكر ودية منافع الأعضاء، وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر.

والسياسة الجائزة المباحة وهى ما يسوس بها ولاة الأمور رعاياهم مما لم تخالف كتاباً ولا سنة.

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هم بغزوة ورى بغيرها وقال: الحرب خدعة إلى غير ذلك.

والسياسة الشيطانية الفرعونية الإبليسية هى كل ما خالف كتاب الله وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن زعم أهلها أنهم مصلحون بسياستهم فهم حقاً مفسدون. قال تعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون فقال الله ألا إنهم المفسدون ولكن لا يشعرون).

فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات. وكما قال فرعون (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وأى رشد عند فرعون القائل (أنا ربكم الأعلى) بل رد عليه القرآن فى موضع آخر قال تعالى (وما أمر فرعون برشيد) وبينت الشريعة الإسلامية

السياسية الخارجية كما قدمنا فى الآيات بشأن السلم والحرب والصلح والمعاهدة إلى غير ذلك فمن ذلك. أيضاً قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الآية فالآية تدل على أن المسلمين مأمورون بالحذر وبالتأهب والاستعداد لعدوهم بالآلات الحربية كالطائرات والدبابات والصواريخ وغيرها . مما يجد ويحدث مما يزيد المسلمين قوة . وبذلك يأخذون حذرهم وفى قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ما يبين ذلك .

كما بينت أيضاً السياسية الداخلية فبينت ما للإمام من الحقوق على رعيته قال تعالى) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وقال النبى ﷺ «أسمع وأطيع لمن ولاه الله أمرك» الحديث. وقال « أسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى» .

ومن بيانها لحقوق الرعية على ولى الأمر قوله تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) وقول الرسول ﷺ « اللهم من ولى أمراً

من أمور أمتى فرفق بهم فارفق به، ومن ولى أمراً من أمور أمتى فشق عليهم فاشقق عليه » ... وأمرت الشريعة بمشاورة أولى الرأى بل جعلت الشريعة مكانة الشوري بين الصلاة والزكاة للاهتمام بها وعظم شأنها كما فى قوله تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ونهى الرسول ﷺ عن الإخلاد إلى الكسل والعجز والدعة والراحة وأخبرهم أن هذا سبب الذل بل أمرهم أن يكونوا أقوياء أشداء أعزاء لاتلين قناتهم لأحد سوى الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فأمرت الشريعة بالضرب فى الأرض لطلب الكسب والتجارة قال تعالى (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) وقال (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله).

وأمرت بحرث الأرض للمعاش وحثت على ممارسة الزراعة وشجعت أهلها بما لهم من البركة والأجر والفضل العظيم، كما قال ﷺ «مامن مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه

طير أو دابة أو إنسان إلا كان له به صدقه». وقال ﷺ «من أحيا أرضاً ميتة فهى له».

كما جاء الأمر بالصناعة فى قوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحاً). ففى هذا الأمر بالصناعة مع العمل الصالح، وداود عليه السلام هو أحد أنبياء بنى إسرائيل المأمور نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام بالاقتداء بهم فى قوله تعالى (ومن ذريته داود وسليمان) الآيات. إلى أن قال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده).

وبالجملة، فقد رسمت أحكاماً لكل من الزراعة والصناعة والتجارة وأوجبت حفظ الحقوق فأمرت بالكتابة والإشهاد وحرمت كتمان الشهادة أشد تحريم حماية للأموال وسلامة للصدور عن التقاطع والتباغض كما نهت عن الغش والخداع فى المعاملات وحرمت الربا بأنواعه وبيع البعض على بيع البعض،

وعن التدليس وبيع الضرر كل هذا حفظاً للحقوق وحرصاً على تمام الروابط بين المسلمين .

وعلمت الشريعة كيفية الاقتصاد وبينت كيف يصرف المال فنهت عن التبذير وعن التقتير وأمرت بالقوام بينهما قال الله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط).وقال فى وصفه لعباد الرحمن (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً). وبينت الشريعة كيف تقام البيوتات وتؤسس العائلات فشرعت النكاح وحثت عليه ورغبت فيه وبينت ما للرجل على زوجته من الحقوق وما لها عليه وبينت ما عسى أن يقع بينهما من خلاف فى المستقبل .

قال تعالى (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا» إن الله كان علياً كبيراً . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما

إن الله كان عليما خبيرا). كما شرعت الخلع والطلاق عند تعذر الوئام بينهما وعدم التئام حالهما . ونظمت شئون الأسرة الواحدة عموماً . وبينت حقوق الوالد وما عليه وحقوق الأولاد وما عليهم وجميع الأقارب وذوى الأرحام كل بحسبه .

ولم يمر بالإنسان طور من أطوار حياته من حين رضاعه إلى إبان وفاته ، بل إلى ما بعد ذلك فبينت الأولى بتغسيله وتكفينه وحمله والصلاة عليه ودفنه وميراثه ووصيته وحقوقه وقضاء ما عليه من الديون ، وحكم أوقافه ما يصح منها وما لا يصح . فالله ما أعظم هذه الشريعة وأجلها وأسماها .

وكل ما ازداد المرء معرفة بها إزداد لها إحتراما وتعظيما وتوقيراً ، فلذلك كان الصحابة رضى الله عنهم لكمال معرفتهم أشد الناس تمسكا بها وتمشياً مع تعاليمها بكل جليل ودقيق وإنه من العجب إعراض أكثر الناس فى هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة واستبدالها أو شوبها بقوانين وضعية ظاهرة التناقض واضحة الجور فاسدة المعنى. فلذا كثيراً

ما يطرأ عليها التغيير والتبديل ، كل يرى أنه أحسن ممن تقدمه وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه . ثم يجرى عليها تغييراً وتبديلا بحسب رأيه وهكذا دواليك ما بقيت هذه النظم المستمدة من نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان . . أما الشريعة الإسلامية فهى صالحة لكل زمان ومكان مضى عليها أربعة عشر قرناً وهى هى فى كمالها ومناسبتها وحفظها لكافة أنواع الحقوق لجميع الطبقات وإهداء الناس حالا وأنعمهم بالا وأقرهم عيشاً أشدهم تمسكاً بها سواء فى ذلك الأفراد والشعوب أو الحكومات وهذا شيء يعرفه كل واحد إذا كان عاقلا منصفاً، وإن لم يكن من أهلها بل وإن كان من المناوئين لها .

وقد سمعنا وقرأنا كثيراً مما يدل على ذلك فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا للسياسة ، أن نشأة أوربا الحديثة إنما كانت رشاشاً من نور الإسلام فاض عليها من الأندلس ومن صفحات الكتب التى أخذوها فى حروبهم مع المسلمين فى الشرق والغرب .

وقال القس طيلر: إن الإسلام يمتد فى أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من نتائجه، وقال كونتنس: يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة فى السجايا وشرف الأخلاق قد طبعته فى نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف غيرهم، فإنهم فى سقوط تام من حيث ذلك.

وقال أيضا: إن من أهم النعوت التى يمتاز بها المسلم عزة فى النفس فهو سواء فى حالة بؤسه ونعيمه لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله.

وهذه الصفة التى غرسها الإسلام فى نفوسهم إذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع إلى التسابق إلى غايات المدنية الصحيحة ورقيات الكمال.

قال هانوتو وزير خارجية فرنسا فى وقته: إن هذا الدين الإسلامى قائم الدعائم ثابت الأركان وهو الدين الوحيد الذى أمكن اعتناق الناس له زمرا وأفواجا، وهو الدين الإسلامى

العظيم الذى تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق أى دين سواه فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده فانتشر فى الآفاق .

وقال بعضهم: لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه وأحكامه وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضه المستمدة من آراء الرجال فشا فيهم فساد الأخلاق فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض، فتفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة ، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون . . وينامون ثم لا ينافسون غيرهم فى فضيلة ولكن إذا أمكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر فى إلحاق الضرر به. وأقوالهم فى هذا الموضوع كثيرة جداً، يعترفون فيها بعظمة الإسلام وشموله لعموم المصالح ودرء المفاسد ، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقاً لصاروا أرقى الأمم وأسعد الناس ولكن ضيعوا فضاعوا واكتفوا منه بمجرد التسمى بأنهم مسلمون .

مناقب شهد العدو بفضلها: والفضل ما شهدت به الأعداء

ولسنا والحمد لله فى حاجة إلى شهادة هؤلاء وأمثالهم ، بفضل الاسلام وعلو مكانته. ولكن ذكرنا هذا لما قصر أهله فى فهمه والعمل به وعرف منه أعداؤه مالم يعرفه بنوه إذ جهلوا مصالحه وتطلعوا إلى غيره من النظم الفاسدة المتناقضة وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال، وأنه فوق كل نظم. ولاشك أنه الدين الصحيح الكفيل بكل ما يحتاجه البشر على وجه يكفل لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد، دين الفطرة السليمة دين الرقى الحقيقى دين العدالة بأسمى معانيها دين المدنية والحرية بمعناها الصحيح ، دين العمل دين الاجتماع دين التوادد والتناصح والتحابب دين رفع ألوية العلم والصنائع والحرف. لم يقتصر على أحكام العبادات والمعاملات بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم على ممر السنين وتعاقب الدهور إلى أن تقوم الساعة .

ولكن يا للأسف ويا للمصيبة أن أبناء هذا الدين جهلوا قدره وجهلوا حقيقته بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يدسون

عليه معاولهم ليهدموه وليفرقو أهله ويفضلون أهل الغربيه على المسلمين ، ظناًمنهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذى أخرهم، ولكنهم أخروا أنفسهم بالإعراض عن تعاليم دينهم، وأخلدوا إلى الكسل وقنعوا بالجهل فأصبحوا فى حيرة من أمرهم

إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه لوصلوا فوق ماوصل إليه غيرهم من التقدم الصناعى ولكنهم تركوا دينهم واقتنعوا بالترف والنعيم وأهملوا العناية به، فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم لحازوا شرف الدنيا والآخرة ، وأن الواجب على أهل الإسلام خصوصاً العلماء منهم وولاة الأمور أن يبثوا الدعوة له وينشروا محاسنه لنشئهم ليرغبهم فيه ويرشدوا الأمة لأحكامه وحكمه ، كما فعل أوائلهم الأماجد فإنهم قاموا بالدعوة فبينوا للأمم محاسنه وسماحته شارحين لهم حكمه موضحين مزاياه . وبذلك امتد سلطانهم واتسعت ممالكهم وأخضعوا من سواهم لتعاليمه. ولكن ما لبث أبناؤهم أن حرفوا فانحرفوا وتمزقوا

بعد ما اجتمعوا واشتبه الحق عليهم بالباطل، فتفرقت بهم السبل وأصبحوا متفرقين فى آرائهم متباينين فى مقاصدهم، وكيف يحصل لهم الرقي، وأنى يتسنى لهم التقدم، وقد رضوا بقوانين وضعية استمدوها من أعدائهم يجروزوراءهم وينهجون نهجهم تقليداً لهم ومصادمة للشريعة الاسلامية التى هى عزهم وفخرهم وفيها راحتهم وطمأنينتهم، والله سبحانه وتعالى يقول: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون).

ويقول جل شأنه: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون). (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وقال سبحانه وتعالى: (وإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

وقد تكفلت الشريعة بحل جميع المشاكل وتبيينها وإيضاحها قال تعالى: (ما فرطنا من الكتاب من شىء) وقال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى

ورحمة وبشرى للمسلمين) ففي هذه الآية أن القرآن فيه البيان لكل شيء، وأن فيه الاهتداء التام وأن فيه الرحمة الشاملة وأن فيه البشارة الصادقة المتمسكين به الخاضعين لأحكامه . قال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) قال تعالى:(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال ﷺ «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك». وقال ﷺ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله . . . إلخ ».

فكيف يجترىء من يدعي الإيمان مع هذا البيان الواضح والآيات البينات والأحاديث الصحيحة على الرضى بالتحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن شريعة الله. والله قد نفى الإيمان عمن لم يحكم الرسول فيما وقع بينهم من التشاجر قال تعالى : (فلا

وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وإنه لمن أعظم الضلال أن يعتقد من يدعى الإسلام أن الشريعة لم تأت بما يكفل مصلحة الجميع وأن الناس محتاجون إلى غيرها في شيء من شؤنهم ومشاكل حياتهم، أليس ذلك طعنا وتكذيبا لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا). ياله من دين ما أجله وما أكمله، فإن من تأمل حكم هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة المحمدية التي لا تنال العبارة كمالها ولا يدرك الوصف حسنها، ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت، وكانت على أكمل عقل رجل منهم مثلها وحسب العقول الكاملة الفاضلة أن أدركت حسنها وشهدت بفضلها وأنه ما طرق العالم شريعة أكمل ولا أجل ولا أعظم منها، فهي نفسها الشاهد والمشهود له والحجة والمحتج له والدعوى والبرهان، وهي من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده، فما أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم

لها وجعلهم من أهلها، وممن ارتضاهم لها فلهذا امتن على عباده بأن هداهم لها. قال تعالى: (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال معرفا لعباده ومذكراً لهم عظيم نعمته عليهم مستدعيا منهم شكره على أن جعلهم من أهلها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا).

قال بعض السلف: ياله من دين لو أن له رجالا — والله أعلم. وصلى الله على محمد.

الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام
عبد الله بن محمد بن حميد

منظومة نقلناها من مقامات الحريرى

خل ادكار الأربع والمعهد المتربع
والظاعن المودع وعد عنه وودع
واندب زمانا سلفا سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا على القبيح الشنيع
كم ليلة أودعتها مآثما أبدعتها
لشهوة أطعتها فى مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها فى خزية أحدثتها
وتوبة نكثتها لملعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السموات العلى
ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعى
وكم غمضت بره وكم أمنت مكره
وكم نبذت أمره نبذ الحذاء المرقع
وكم ركضت فى اللعب وفهت عمداً بالكذب

ولم تراع ما يجب من عهده المتبع

فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم وقبول سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع

إلام تسهو وتنى ومعظم العمر فنى
فيما يضر المقتنى ولست بالمرتدع

أما ترى الشيب وخط وخط فى الرأس خطط
ومن يلح وخط الشمط بفوره فقد نعى

ويحك يا نفس احرصى على ارتياد المخلص
وطاوعى واخلصى واستمعى النصح وعى

واعتبرى بمن مضى من القرون وانقضى
واخشى مفاجأة القضا وحاذرى أن تخدعى

وانتهجى سبل الهدى وادكرى وشك الردى
وإن مثواك غدا فى قعر لحد بلقع

آها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الأولى واللاحق المتبع

بيت يرى من أودعه قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسعه قيد ثلاث أذرع

لا فرق أن يحله داهية أو أبله
أو معسر أو من له ملك كملك تبع

وبعده العرض الذى يحوى الحلى والندى
والمبتدى والمحتذى ومن رَعَى ومن رُعى

فيا مفاز المتقى وربح عبد قد وقى
سوء الحساب الموبق وهول يوم المفزع

ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى

وشب نيران الوغى لمطعم أو مطمع

يا من عليه المتكل قد زاد ما بى من وجل
لما اجترمت من زلل فى عمرى المضيع

فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاء المنسجم
فأنت أولى من رحم وخير مدعوٍّ دُعى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه تهنئة للامام عبد العزيز والمسلمين . نظمها حمد بن مزيد (فى وقعة « تربة » بين الشريف عبد الله والإخوان . وفيها انتصر الإخوان أهل الغطغط ومن تبعهم من إخوانهم على الشريف وقومه).

الحمد لله ذى الآلاء مولانا حمداً كثيراً على ما كان أولانا
ونشكر الله شكراً لا نفاد له وليس نحصى لذى الإنعام شكرانا
وحسبنا الله مولانا وناصرنا على الذى رام للاسلام خذلانا
لقد أتى ابن حسين الوغد فى خيلا بالكبر والفخر والإعجاب سكرانا
على ذوى الدين والإسلام ذا حنق بالغيظ والحقد والعدوان ملآنا
يقود جنداً كثير العد ذا عدد كادت تضيق به أفواه ريعانا
بدواً وحضراً وأسقاطاً ملفقة من كل قطر وأتراكا وسودانا
جاؤا بهول عظيم من مدافعهم مع المكائن تحكى ضوء نيرانا
قد سلسلوا عندها أصحابها حذراً من أن يفروا إذا وقت الوغى حانا
جاءوا يريدون إطفاء لنور هدى ويهدمون من الإسلام أركانا
ويسلبون بنى الإسلام دينهموا ويلزمونهموا يدعون أوثانا
فمذ أتى تربة استدعى جميعهموا فمن أطاع له أولاه إحسانا
وظل يقتل من لا يستجيب له وبالشريعة والإخلاص قد دانا
سبى بيوتهم بغياً وهدمها كما سبا لهموا بالظلم نسوانا

فيا لها محنة سيم العباد بها ... خسفاً ورجفاً وزلزالا وأحزانا
خطب به سر من فى قلبه مرض ... وفتحوا عيناً منهم وآذانا
وميز الله أهل الزيغ أجمعهم ... وأظهر الله للمرتاب أضغانا
وثبت الله أهل الصدق فيه ولم ... يزدهوا غـــير تسليم وإيمانا
وهذه سنة فى الإمتحان مضت ... متى يكن أ كرم الإنسان أوهانا
فبينما نحن فى غم وفى كرب ... كادت تذوب له ياصاح أحشانا
إذ فل عبد العزيز الشهم رايته ... وجاد بالنفس فى مرضات مولانا
وسار بالعزم والإقدام مشتملا ... بالحزم مؤتزراً ما كان كسلانا
فى عصبة من بنى الإسلام عادتهم ... يوم التحام الوغى تصريع أقرانا
وحارب النوم مع حلو الطعام ولم ... يشرب لذيذاً ولو أن كان عطشانا
وضل كالأسد المؤذى بغابته ... له زئير ولم ينفك غضبانا
حتى يضرج من آذاه فى دمه ... ومنه يخضب أظفاراً وأسنانا
لما تنامت به فى الصدق نيته ... ونال من ربه أجراً ورضوانا
جاء البشير له بالنصر يخبره ... وبانخذال الذى قد رام طغيانا
على يدى معشر من جنده صدقوا ... ماعاهدوا الله إسراراً وإعلانا
رئيسهم خالد من كان منتمياً ... إلى لؤى حليف المجد مذ كانا
أ كرم به من أمير صادق وفى ... بالعهد والوعد لاقدماً وخوانا
لازال توفيق مولانا يمد له ... وزاده الله إيماناً وإحسانا

كذاك من بالوفى والصدق ساعده … أعنى به ابن بجاد الشهم سلطانا
مع ساكنى الغطغط المستوطنين كذا … من فى سنام ومن فى الرين سكانا
كذاك من كان فى صبحاء مسكنه … قبـــائل تنتمى حقاً لقحطانا
قوم لقـد آمنوا بالله خالقهـم … وهاجروا واتقوا إثماً وعدوانا
وجاهدوا فى سبيل الله بل صبروا … وصابروا لذوى الإشراك أزمانا
تعلم العلم فى الاصباح همهموا … وينقضى ليلهم ذكراً وقرآنا
وجامع الأمر إن تطلب لوصفهموا … نهارهم أسـد والليل رهبانا
إذجاء صيتان من عند الخبيث بما … يهيج من قلب ذى الإيمان أشجانا
وقال إخوانكم بالأمس قتلهم … وظل يسبى لأهل الدين نسوانا
فبادروا بالبـكا حتى كأنهموا … ثـكلا أعاد عليها الدهر أحزانا
ونـكسوا الروس حتى لاترى لهموا … إلا النشيج ودمعاً كان هتانا
ثم استعانوا برب الناس خالقهم … على قتال الذى قد رام طغيانا
ومن أراد عن المشا يثبطهـم … قالوا أما قد سمعتم قول صيتانا
جاؤه فى حفر فى الأرض خندقها … أعـد فيهـا دناميتاً ونيرانا
والجنـد كلهم للحرب حزبهم … وأظهروا من عظيم الـكيد أفنانا
فما استكانوا لذاك الهول بل صبروا … واستمنحوا الله تثبيتاً وإيمانا
فمـذ رؤهم فباعوا الله أنفسهم … وأعلنوا الذكر والتـكبير إعلانا
سلوا السيوف وبانوا من ثيابهموا … واستبدلوها سراويلا وأكفانا

وخالطوهم عياناً فى خنادقهم وأثخنوهم بحد السيف إثخانا
فمذ رأوا فعلهم فيهم وصبرهموا ألقوا سلاحهموا ذلا وإذعانا
وظل جند الهدى بالبيض يحصدهم حصاد زرع هشيم وقته حانا
فبدد الله جمع المشركين فما ترى سوى ساقط فى الأرض أنانا
أو جيف منهم الأرواح قد خرجت أو هارب فى بقاع الأرض هيمانا
لكنما جملة الأتراك قد قتلوا صاروا طعاماً لغربان وعقبانا
وسوف يعتاد نسر الجو مصرعهم والذئب يشبع لحماً فيه أزمانا
لم ينج منهم سوى قوادهم هربوا على جياد لهم زعراً لما كانا
وخلفوا خلفهم رغماً مدافعهم مع المكائن مع بز وعقيانا
كذا ذخائرهم صارت وما جمعوا فيئاً يقسم فى الإخوان سهمانا
هذا لعمرى هو الفتح الذى طلعت به شموس الهدى والشرك قد بانا
فتح به فتحت أبصار أفئدة غاق عليها ظلام الريب قد رانا
فتح به أعين الإسلام قد فتحت فأبصرت بعد دمع كان هتانا
فتح به عاد حزب الله منتصفاً من الوضيع عدو الله قرنانا
فتح به ارتجفت أرض الحجاز كذا أرض العراق ومن فى الشام سكانا
وذلك من فضل مولانا ومنته العظمى لتمهيد عز الدين مذ كانا
أعنى خليف التقى عبد العزيز ومن قد شاد للدين والتوحيد أركانا
فكان أهل الهدى والدين شيعته وعضده وله جنداً وأعوانا

وإنما عزهم من عزه وهموا ... بالله ثم به سراً وإعلانا
لقد تولاهموا من حين هجرتهم ... حتى بنى لهموا مدناً وبلدانا
بنا مساجدهم فيها وأتحفهم ... مشائخاً كملوا علماً وعرفانا
فعلموهم أصول الدين أجمعها ... وبينوا لهم التوحيد تبيانا
وقد حباهم بأموال وأسلحة ... كما أنالهم رفداً وإحسانا
وكان ركناً شديداً فى اللم لهم ... كهفاً منيعاً لهم إن مزعج آنا
يرى محبتهم مع نصحه لهموا ... ولطفه بهموا ديناً وإيمانا
أكرم به من إمام عادل فطن ... يخوض نار الوغى إن وقتها حانا
كم فرج الله كرب المسلمين به ... وأذهب الله أغماماً وأحزانا
قد كان فوق السهى فى المجد منزله ... وفاق فى الجود والإقدام أقرانا
لازال إسعاد مولانا يساعده ... أزاده الله تمكيناً وسلطانا
يا راكباً فوق وجناء عذافرة ... سامت سنيناً لدى الدهنا وصمانا
حث السير ولا تسئم لشقته ... واطوى الفيافى عليها صاح عجلانا
إلى الإمام الهمام الشهم من حمدت ... أفعاله وحمى للدين أركانا
أبلغه منى تسليما وتهنية ... أحلى من الشهد أو ماء لظمآنا
وناده برفيع الصوت مجتهداً ... ليهنك النصر والفتح الذى كانا
فعش هنيئاً مريئاً فى السرور وفى ... عز ونصر ولا تخشى لخذلانا
فقد حباك إله الناس خالقنا ... ملكا عظيما وذكراً فى الورى زانا

فاشكر إلهك تزدد من فضائله وكان إفضاله بالشكر هتانا
وخف من الله رب الناس واتقه وراقب الله إسراراً وإعلانا
ولازم العدل فى من قد وليت له واجعل لك القسط مكيالا وميزانا
وقرّب لذوى التقوى وعزهموا واجعلهموا لك إخواناً وخلانا
واحذر مصاحبة الفساق قاطبة وكل فدم ومرتاب وخوانا
لا تطلعنهم على الأسرار منك ولا تجعلهموا لك عمالا وأعوانا
إن الخبيث وإن أبدى تنسكه فسوف تبدى له الأيام أضغانا
نقول هذا لكى نبدى مناصحة وأنت أعلمنا فى ذا وأدرانا
فاسمع نصيحتنا واغفر لزلتنا وأول عورتنا ستراً وكتمانا
هذا ومنى سلام كلما طلعت شمس وما قمر من أفقه بانا
على الإمام رفيع الصيت والدكم نجل الأفاضل غيث الضد مذ كانا
أكرم به من أخ عدل حليف تقى لازال غيثاً بوبل الجود هتانا
كذلك الشيخ عبد الله قدوتنا وصفوة الجيل من شيب وشبانا
لازال بدراً منيراً للهدى علماً بنوره يهتدى من كان حيرانا
ثم الصلاة على المعصوم سيدنا محمد المصطفى من نسل عدنانا
والآل والصحب ماهب النسيم وما قد غرد الطير فوق الدوح ألحانا

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ على بن الشيخ حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله :

خليلى عوجا عن طريق العواذل ... بمهجور ليلى فابكيا فى المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفى عليل البلابل
أرى عبرة غبراء تتبع أختها ... على إثر أخرى تستهل بوابل
تهيج ذكراً للأمور التى جرت ... تشيب النواصى واللحا للأماثل
ويسقط من بطن الحوامل حملها ... وتذهل أخيار النساء المطافل
فبينا نسود الناس والأمر أمرنا ... وتنفذ أحكام لنا فى القبائل
وتخفق رايات الجهاد شهيرة ... بشرق وغرب يمنة وشمايل
تبدلت النعماء بؤساً وأصبحت ... طغاة عتاة ملجئاً للأراذل
وبث عتاة الدين فى الأرض بغيهم ... وريعت قلوب المؤمنين الغوافل
وأقبل قادات الضلالة والردى ... وساداتها فى عسكر وجحافل
فخانت لهم نجد لما قد أتوا بها ... ولم يبق للاسلام غير قلائل
فقد خلعوا والله ربقة دينهم ... وبار أمير مع وزير وعامل
فلم يفلحوا والحمد لله وحده ... ولم ينتهوا بل شرهم فى تطاول
وشتت شمل الدين وأنبت أصله ... فأضحى مضاعاً كالبدور الأوافل
وفرعن الأوطان من كان قاطناً ... تراهم فرادى نحو قطر وساحل

وفرق شمل كان للخير شاملا ‏ وزالت ولاة المسلمين الأعادل
وسادشرارالخلق فى الأرض بعدهم ‏ ودارت رحى للأرذلين الأسافل
فأصبحت الأموال فيهم نهائبا ‏ وأضحت الأيتام خمص الحواصل
فكم دمروا من مسكن كان آنسا ‏ وكم خربوا من مربع ومعاقل
وكم خربوا من مسجد ومدارس ‏ يقام بها ذكر الضحى والأصايل
وكم قطعوا من باسقات نواعم ‏ وكم اغفلوا من معقل ومنازل
وكم أهلكوا حرثا ونسلا ببغيهم ‏ وكم أيتموا طفلا بغدر وباطل
وكم هتكوا سترا حييا ممنعا ‏ وكم كشفوا حجب العذارى العقايل
وكم حرقوا من كتب علم وحكمة ‏ وفقه وتوحيد وشرح مسايل
وكم هدموا سورا وقصرا مشيدا ‏ وحصنا حصينا أوهنوا بالمعاول
وكم أسروا من حاكم بعد عالم ‏ وكم زلزلوا من محصنات غوافل
وكم قتلوا من عصبة الحق فتية ‏ تقاة هداة فى الدجى كالمشاعل
يذودون عن ورد الدنايا نفوسهم ‏ ويسعون جهدا لاقتناء الفضايل
فما بعدهم والله فى العيش رغبة ‏ وما بعدهم للخير والدين فاعل
مضوا وانقضت أيامهم حين أورثوا ‏ ثناء ومجدا كالهداة الأوايل
فوا أسفا من فقدهم وفراقهم ‏ وواسوءتا من بعد أهل الفضائل
فجازاهم الرب الكريم برحمة ‏ تعم عظاما أودعت فى الجنادل
وأبقى لهم نصرا وأهلا مؤثلا ‏ يعز هداة الدين بين الجحافل

لقد بخلت عين تضن بمائها ... على فقدهم أو دمع عين تهامل
فقد كسفت شمس المعارف بعدهم ... وسالت جفون بالدموع المواطل
فكم عاتق غراء تبكى بشجوها ... وأرملة ثكلى وحبلى وحايل
يئجن بأكباد حرار وعبرة ... ويكظمن غيظاً فى الجوانب داخل
يرجعن ألحان التعزى بحرقة ... ويظهرن صبراً عن شماة وعاذل
فلو شهدت عيناك يوم رحيلهم ... عن المسكين الأعلى الرفيع المنازل
وفرقت الأحباب فى كل قرية ... وسار بهم حزب العدو المزايل
يسوقونهم سوقاً عنيفاً بشدة ... ويزجون أشياخاً بتلك القوافل
لذابت جفون العين واحترق الحشا ... وسالت خدود بالدموع السوائل
فقد عاثت الأحزاب فى الأرض بعدهم ... بكل ما كان ناصبين الحبايل
فكم فارة غبراء يكره وردها ... على إثر أخرى بين تلك القبائل
وكم فتنة كبرى تتابع أختها ... على إثر صغرى من قتيل وقاتل
ترى خيلهم فى كل يوم مغيرة ... على داخل أو خارج أو مسابل
وجاءت لأهل المدن تبغى خفارة ... رعاة جفاة من مطير ووايل
فقد طال ما قد أذعنوا وتذللوا ... وفرض زكاة المال أدوا لعامل
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا ... ويجبر كسراً مثقلا بالحبايل
ويعمر للسمحاء ربوعاً تهدمت ... ويعلى مناراً للهدى غير زايل
فيظهر نور الحق يعلو سناؤه ... فيضحى ظلام الشرك والشك زايل

ويكسر أعلام الضلالة أنه قريب مجيب مستجيب لسايله
ويطمس آثار الفساد بديمة من النصر هتان الجوانب وابله
فينبت زرع الحق أخرج شطئه مسحاً بخير للثمار الحواصل
إلهى فحقق ذا الرجاء فإننا عبيدك تبنا لست عنا بغافل
أغثنا أغثنا وارفع الضر والبلا بعفوك عنا ياقريب لآمل
فإن لم تغثنا ياقريب فمن لنا لنقصد فى دفع الأمور الثقايل
إليك أنبنا فاغفر الذنب والخطا إليك رجعنا فارجع الخير كامل
لقد سامنا الأعداء سوماً مبرحاً بقتل وأسر موثقاً بالحبايل
على غير جرم غير توحيد ربنا وهدم قباب المشركين الأباطل
وأمر بمعروف وإنكار منكر وفعل صلاة فى الجماعة حافل
وأخذ زكاة المال فرضاً مؤكداً يرد لذى فقر وغرم وعامل
وحج وتقويم الجهـــاد لأنه أمان وعز عن مذلة خاذل
إذا ما ملكنا قرية أو قبيلة أقمنا بهاشرع الهداة الكوامل
فنهدم أوثانا ونبنى مساجداً ونكسر مزماراً وطبلا لجاهل
ونقطع سراقاً ونرجم محصناً ونجلد سكراناً بنص الرسائل
نكف ظلوم البدو والحضر إن غدا يغير على حق الضعاف الأرامل
ونتبع آثار الرسول وصحبه مع السلف البر التقاة الأفاضل
كأحمد والنعمان قل لى ومالك كذا الشافعى ركن الحديث وناقل

فماذا علينا إذ سلكنا سبيلهم بقول وفعل مسعد فنواصل
ألا أيها الإخوان صبراً فإننى أرى الصبر للمقدور خير الوسائل
ولا تيأسوا من كشف ذا الكرب والبلا
فذو العرش فرّاج الأمور الجلايل
عيون القضا ليست نياماً وسهمه مصيب فما يخطىء عيون المقاتل
فطوبى لعبد قام لله مخلصاً ترنم فى محرابه متمايل
يمد يديه سائلا متضرعاً لرب قريب بالإجابة كافل
فجاءت سهام الليل تهوى بشرعة إلى ظالم عن ظلمه متغافل
أصابت نياط القلب فى وسط نحره فآب بخسران وحر بلابل
فقم قارعاً للباب والقلب نادم على ماجرى واقبل عليه وسايل
وأما بنو الدنيا فلا ترج نفعهم فلا مرتقى منهم يرجّى لنازل
فإنى تتبعت الأنام فلا أجد سوى حاسد أو شامت أو معاذل
فلم أر أنكى للعدو من الدعاء كرمى بنبل أوترت بالمناصل
فلا تدع غير الله فى كل حالة وخل جميع الخلق طراً وعازل
سألتك ياذا الجود والمن والعطا تجود وتعفو عن عبيدك ياولى
وترسل طاعوناً ورجزاً ونقمة وطعناً لطعان وقتلا لقاتل
يعم لأحزاب الضلال وصحبهم بسوط عذاب عاجل غير آجل
فإنك قهار على كل قاهر وأمرك غلاب لكل محاول

وأزكى صلاة لاتناهى على الذى له انشق إيوان لكسرى ببابل
محمد والأصحاب ماهبت الصبا وآل رسول الله زين المحافل

روى عن على بن أبى طالب أنه قال :

تغيرت المودة والإخاء وقل الصدق وانقطع الرجاء
وأسلمنى الزمان إلى صديق كثير الغدر ليس له رعاء
أخلاء إذا استغنيت عنهم وأعداء إذا نزل البلاء
يديمون المودة مارأونى ويبقى الحمد مابقى اللقاء
فإن أنا غبت عن أحد قلانى وعاقبنى بما فيه اكتفاء
سيغنينى الذى أغناه غنى فلا فقر يدوم ولا غناء
وكل مودة فى الله تصفو ولا يصفو مع الغى الإخاء
وكل جراحة فلها دواء وخلق السوء ليس له دواء
وليس بدائم أبداً نعيم كذاك البؤس ليس له بقاء
إذا أنكرت شيئاً من حميم ففى نفسى التكرم والحياء
إذا ما رأس القوم ولّى بدا له من الناس الجفاء

* * *

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم :

بكت عيني وحق لها البكاء ... وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... كذاك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت ... فأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان ... مخالطها نعيم لا يزول
ألا من مبلغ غنى لويا ... فبعد اليوم دائلة تدول
نسيتم ضربنا بقليب بدر ... غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعاً ... عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرا جميعاً ... وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنا أمية مجلعباً ... وفي حيزومه لدن نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها ... ففي أسيافنا منهم فلول
ألا ياهند فابكي لا تملي ... فأنت الواله العبرى الهبول
ألا ياهند لاتبدي شماتاً ... بحمزة إن عزكم ذليل

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فهرس

ص

ص

ص